المرونة في العمل الدعوي

" دراسة تأصيلية "

إعداد

د. محمد هلال الصادق هلال

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المشارك

بجامعة أم القرى

المرونة في العمل الدعوي

"دراسة تأصيلية"

د. محمد هلال الصادق هلال

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من أرسله ربه رحمة للعالمين، نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين. أما بعـــد

فإن (الثبات والمرونة) من أبرز الخصائص العامة للإسلام، وكـذلك مـن أبـرز خصائص العمل الدعوي الذي يشمل كافة الجهود التي تبذل لتبليغ الإسلام؛ إخراجا للناس من الظلمات إلى النور.

وإن الناظر بعين التدقيق والتحقيق في موكب دعوات الأنبياء والمرسـلين ومـن سار على نهجهم وسلك سبيلهم من الدعاة المخلصين العاملين يدرك تمام الإدراك أن الفهم الرشيد والتطبيق السديد لخصيصة (الثبات والمرونة) في العمل الدعوي من أبرز عوامل نجاحه وتحقيق الثمار المرجوة منه.

وتبقى الضرورة قائمة والحاجة ماسة إلى ذلك الفهم الرشيد والتطبيـق السـديد لخصيصة (الثبات والمرونة) في العمل الدعوي ما بقيت في حياة الناس ظلمات تتلمس أن يبددها نور الدعوة إلى الله تعالى.

وقد استقر في أذهان العاملين في ميدان الدعوة أن هنـاك مجموعـة مـن الركـائز الثابتة في العمل الدعوي لا ينبغي تجاوزها أو تجاهلها، وإلا عـاد ذلـك بالخلـل علـى العمل الدعوي كله، ومن تلك الركائز: أركان الـدعوة (الـداعي والمـدعو وموضـوع

الدعوة)، ومناهج الدعوة، والأهداف الدعوية المقررة في الكتاب والسنة، وضرورة التعاون والتكامل بين العاملين في ميدان الدعوة أفرادا ومؤسسات، والتخطيط للعمل الدعوي، وتوفير الدعم المادي والمعنوي للعاملين في ميدان الدعوة... إلخ.

أما جانب المرونة في العمل الدعوي فهو الذي تختلف فيه الرؤى، فهذا مؤيد وذاك معارض، وهذا موسِّع وذاك مضيِّق؛ وما أكثر المشكلات التي يعج بها ميدان الدعوة بسبب سوء الفهم لجانب المرونة في العمل الدعوي وما يترتب عليه من خلل التطبيق.

ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث الذي جعلته بعنوان **(المرونة في العمل الدعوي.. دراسة تأصيلية)** في محاولة لبيان مفهوم المرونة في العمل الدعوي، وضوابطها، وتطبيقاتها، وآثارها، وبيان معوقات المرونة في العمل الدعوي، وسبل مواجهة تلك المعوقات، وذلك في إطار الكتاب والسنة وتراث علماء الأمة.

وقد استخدمت في بحثي هذا المنهج الاستردادي التحليلي.

ويتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس للمراجع وفهرس للموضوعات:

- المقدمة: وتشتمل على بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث وخطته.
- التمهيد: مفهوم المرونة في العمل الدعوي.
- المبحث الأول: ضوابط المرونة في العمل الدعوي.
- المبحث الثاني: تطبيقات المرونة في العمل الدعوي وآثارها.
- المبحث الثالث: معوقات المرونة في العمل الدعوي وسبل مواجهتها.
- الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.
- فهرس المراجع.

ومن أبرز نتائج البحث ما يلي:

١- الدعاة إلى الله - تعالى - بحاجة إلى فقه المرونة في الدعوة بمعناها الأول، وهو (الدين)، وترجمة ذلك الفقه في خطابهم الدعوي في الميادين الدعوية المتنوعة؛ تيسيرا على الناس، وتأليفا لقلوبهم.

وكذلك يحتاج الدعاة إلى فقه المرونة في الدعـوة بمعناها الثاني، وهو (النشر والتبليغ)؛ لتطبيق المرونة وترجمتها في العمل الدعوي ذاته؛ للوصول به إلى أرقى مراتب التأثير والإقناع.

٢- أن فقه المرونة في العمل الدعوي يرتكز على أسس علمية دعوية ذكرها المختصون في علم الدعوة، استنباطا من مصادر الدعوة، والتطبيقات الدعوية عبر العصور، واستنادا إلى العديد من الدراسات، والكثير من التجارب والخبرات، فلا مجال للعشوائية أو الفوضوية باسم المرونة.

٣- المرونة في العمل الدعوي لا تؤتي ثمارها المرجوة في ميدان الدعوة إلا إذا كانت منضبطة بمجموعة من الضوابط الشرعية.

٤- المرونة في العمل الدعوي لا تقـف عنـد تطبيقـات محـددة وثابتـة، بـل تترجـم في تطبيقات كثيرة ومتنوعة ومتجددة.

٥- المرونة المنضبطة في العمل الدعوي ذات آثار إيجابية في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.

٦- المرونة في العمل الدعوي تحتاج إلى العمل على التخلص من معوقـات المرونـة في العمل الدعوي لدى بعض الدعاة، مثل: التعصب للرؤيـة الشخصـية، والتقليـد الأعمى، واتباع الهوى، وضيق الأفق أو قصر النظر، والانكفـاء علـى الـذات... إلخ.

٧- المرونة في العمل الدعوي يمكن أن يكتسبها الدعاة إلى الله – تعالى – من خلال الإقرار الذاتي بوجود مشكلة عدم المرونة، وسعة المعرفة وتنوع الثقافة، والاستفادة من تجارب الدعاة قديما وحديثا، وتبادل الخبرات الدعوية، والحرص على التغيير لمواكبة التطوير مع عدم المساس بالثوابت الدينية والأهداف الدعوية، ونشر فقه المرونة في العمل الدعوي... إلخ.

ومن أبرز توصيات البحث ما يلي:

١- أوصي بالحرص على تطبيق المرونة في العمل الدعوي؛ لعظيم آثارها في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.

٢- أوصي المؤسسات الدعوية بمتابعة العمل الدعوي للدعاة في ضوء الدراسات العلمية الدعوية؛ للتقييم والتقويم، ووضع كل شيء في موضعه.

٣- أوصي بعقد دورات علمية تدريبية للدعاة إلى الله – تعالى – لبيان فقه المرونة في العمل الدعوي، وكيفية اكتسابها، والتخلص من معوقاتها.

٤- أوصي بعقد لقاءات تجمع عددا كبيرا من الدعاة مختلفي الجنسيات ومتنوعي البيئات ومتفاوتي الأعمار؛ لعرض تجاربهم وتطبيقاتهم للمرونة في العمل الدعوي، وبيان ما ترتب عليها من آثار في ميدان الدعوة إلى الله تعالى؛ لاستفادة كل داعية من خبرات الآخرين، وتطبيقاتهم الإيجابية للمرونة، وتفادي التطبيقات السلبية للمرونة في العمل الدعوي.

٥- أوصي المؤسسات الدعوية برصد عقبات المرونة في العمل الدعوي؛ لمواجهتها بما يتناسب معها.

٦- أوصي بعمل استطلاع رأي للمدعوين بين الحين والآخر؛ للوقوف على إيجابيات وسلبيات العمل الدعوي، ومدى تحقق جانب المرونة – بمعناها الصحيح – في أداء الدعاة.

٧- أوصي بعقد مؤتمر دعوي عالمي عن (المرونة وتطبيقاتها في العمل الدعوي)، مع تكثيف الإعلان عنه لكافة المؤسسات الدعوية، والعمل على تفعيل ما يسفر عنه المؤتمر من نتائج وتوصيات.

٨- أوصي بطباعة كتاب مفصّل للمرونة في العمل الدعوي، وتعميمه على كل المؤسسات الدعوية؛ لتكون هناك نسخة بين يدي كل داعية؛ ليستفيد من هذا الكتاب وليحقق التوازن في عمله الدعوي: الثبات في موضع الثبات، والمرونة في موضع المرونة.

وإني إذ أكتب هذا البحث أشرف بتقديمه لكل من ينضوي تحت لواء الدعوة إلى الله - تعالى - راجياً رب العباد أن يجعله نور هداية وإرشاد، وسبيل توفيق وسداد، ونبع خير وإسعاد، يَعُمّ ببركته العباد والبلاد ... آمين.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين، سيدنا محمد بن عبد الله، صلاة وسلاما دائمين متلازمين بدوام ملك الله. أما بعد

فإن (الثبات والمرونة) من أبرز الخصائص العامة للإسلام، حيث يجمع بينهما في تناسق مبدع، واضعا كلا منهما في موضعه الصحيح.. الثبات فيما يجب أن يخلد ويبقى، والمرونة فيما من شأنه أن يتغير ويتطور، وهذا من روائع الإعجاز في هذا الدين، وآية من آيات عمومه وخلوده، وصلاحيته لكل زمان وكل مكان. وهذه الخصيصة البارزة لرسالة الإسلام لا توجد في شريعة سماوية ولا وضعية [(١)].

وكما أن (الثبات والمرونة) من خصائص الدين الإسلامي فإنها من خصائص العمل الدعوي الذي يشمل كافة الجهود التي تبذل لتبليغ هذا الدين؛ إخراجا للناس من الظلمات إلى النور.

وإن الناظر بعين التدقيق والتحقيق في موكب دعوات الأنبياء والمرسلين ومن سار على نهجهم وسلك سبيلهم من الدعاة المخلصين العاملين يدرك تمام الإدراك أن الفهم الرشيد والتطبيق السديد لخصيصة (الثبات والمرونة) في العمل الدعوي من أبرز عوامل نجاحه وتحقيق الثمار المرجوة منه.

وتبقى الضرورة قائمة والحاجة ماسة إلى ذلك الفهم الرشيد والتطبيق السديد لخصيصة (الثبات والمرونة) في العمل الدعوي ما بقيت في حياة الناس ظلمات تتلمس أن يبددها نور الدعوة إلى الله تعالى.

وقد استقر في أذهان العاملين في ميدان الدعوة أن هناك مجموعة من الركائز الثابتة في العمل الدعوي لا ينبغي تجاوزها أو تجاهلها، وإلا عاد ذلك بالخلل على

العمل الدعوي كله، ومن تلك الركائز: أركان الدعوة (الداعي والمدعو وموضوع الدعوة)، ومناهج الدعوة، والأهداف الدعوية المقررة في الكتاب والسنة، وضرورة التعاون والتكامل بين العاملين في ميدان الدعوة أفرادا ومؤسسات، والتخطيط للعمل الدعوي، وتوفير الدعم المادي والمعنوي للعاملين في ميدان الدعوة... إلخ.

أما جانب المرونة في العمل الدعوي فهو الذي تختلف فيه الرؤى، فهذا مؤيد وذاك معارض، وهذا موسِّع وذاك مضيِّق؛ وما أكثر المشكلات التي يعج بها ميدان الدعوة بسبب سوء الفهم لجانب المرونة في العمل الدعوي وما يترتب عليه من خلل التطبيق.

ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث الذي جعلته بعنوان (المرونة في العمل الدعوي.. دراسة تأصيلية) في محاولة لبيان مفهوم المرونة في العمل الدعوي، وضوابطها، وتطبيقاتها، وآثارها، وبيان معوقات المرونة في العمل الدعوي، وسبل مواجهة تلك المعوقات، وذلك في إطار الكتاب والسنة وتراث علماء الأمة.

وقد استخدمت في بحثي هذا المنهج الاستردادي التحليلي.

ويتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس للمراجع وفهرس للموضوعات:

المقدمة: وتشتمل على بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث وخطته.

التمهيد: مفهوم المرونة في العمل الدعوي.

المبحث الأول: ضوابط المرونة في العمل الدعوي.

المبحث الثاني: تطبيقات المرونة في العمل الدعوي وآثارها.

المبحث الثالث: معوقات المرونة في العمل الدعوي وسبل مواجهتها.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المراجع.

وإني إذ أكتب هذا البحث أشرف بتقديمه لكل من ينضوي تحت لـواء الـدعوة إلى الله – تعالى – راجياً رب العباد أن يجعلـه نـور هدايـة وإرشـاد، وسـبيل توفيـق وسداد، ونبع خير وإسعاد، يَعُمّ ببركته العباد والبلاد ... آمين.

التمهيد

مفهوم المرونة في العمل الدعوي

إن الوقوف على مفهوم المرونة في العمل الدعوي يتطلـب تعريـف (المرونـة)، كما يتطلب تعريف (العمل الدعوي)، وبيان ذلك فيما يلي:

أولا: مفهوم المرونة في اللغة والاصطلاح:

١- المرونة في اللغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: "(مَرَنَ) الميم والراء والنون أصـل صـحيح يـدل على لين شيء وسهولة، ومَرَن الشيء يمْرُنُ مُرُوناً: لانَ"(٢).

وجاء في لسان العرب: "مَرَنَ يَمرُن مَرانةً ومُرُونةً: وهو لين في صلابة. ومَرَنـتَ يَد فُلانٍ على العمل أي صَلُبت واستمرت. والمَرَانة: اللينُ"(٣).

٢- المرونة في الاصطلاح العام:

إن مصطلح المرونة كغـيره مـن المصـطلحات في العلـوم الإنسـانية تتعـدد فيـه المفاهيم وتختلف، ومرد ذلك الاختلاف إلى أن الـبعض ينظـر إلى المرونـة مـن خـلال الوسط العلمي الذي يعيش فيه، فمنهم من يرى أن المرونة هي التوسط، ومـنهم مـن يرى المرونة هي الحل الأيسر، ومنهم من يرى المرونة في اللين واليسر، ومنهم من يرى المرونة أنها القابلية للتغير إلى الأحسن والأفضل، ومنهم من يرى المرونة في تحقيق خير الخيرينِ ودفع شر الشرّينِ، ومنهم من يرى المرونة في تقبل الآخرين وأفكارهم، ويشير

إلى هذا المعنى الأخير الدكتور / جاسم الياسين بقوله: " إن على الإنسان أن لا يتخلى عن المرونة في تعامله مع نفسه ومع الآخرين، وليس المقصود بالمرونة الرضى بما دون الحق، فليس ذلك من المرونة ولا من الشهامة والرجولة، التي يبنيها الدين في الإنسان، و إنما المقصود ألا يقتصر الإنسان في فهمه وتعامله على جانب واحد من جوانب الحق، لا يتعداه إلى غيره من الجوانب، فإذا تعددت آراء العلماء الموثقين حول نقطة معينة، فلنا أن نأخذ برأي من هذه الآراء دون أن نحاول فرضه على الآخرين، ودون أن يمنعنا ذلك من اعتبار أن الآخرين قد يكونون على الحق ولو أخذوا رأيا آخر من غير أن تقوم بيننا مجادلات، أو تنشأ خلافات وخصومات "(٤). ويمكن أن يُسْتخلص من هذا التعريف أن المرونة تكون في تقبل آراء الآخرين، وأن لا يقتصر الإنسان على جانب واحد من الحق إن تعددت جوانبه، وأن لا يفرض رأيه على الآخرين.

ومنهم من يرى أن المرونة تكون في القدرة على التكيف والتلاؤم، وهي ميزة تساعد على الانفتاح. يقول أسعد رزوق صاحب موسوعة علم النفس عن المرونة: إنها " خاصة تنم عن القدرة على التكيف والتلاؤم، وميزة تشير إلى الانفتاح على صعيد القدرات والقوى والاستعداد من جانب المرء لتطويعها وملاءمتها بحيث تنطوي على قابلية التطويع "(٥).

وتعرف المرونة بأنها " الحد الفاصل بين الثبات المطلق الذي يصل إلى درجة الجمود، والحركة المطلقة التي تخرج بالشيء عن حدوده وضوابطه، أي أن المرونة حركة لا تسلب التماسك، وثبات لا يمنع الحركة "(٦).

ويلاحظ أن كل هذه المعاني السابقة من التوسط، والقابلية للتغير إلى الأحسن والأفضل، والأخذ بأيسر الحلول، والقدرة على التكيف والتلاؤم... وغيرها، معاني تتضمنها المرونة.

ولهذا يمكن القول: إن "المرونة هي الاستجابة الانفعالية والعقلية التي تمكن الإنسان من التكيف الإيجابي مع مواقف الحياة المختلفة، سواء كان هذا التكيف بالتوسط أو القابلية للتغير أو الأخذ بأيسر الحلول..."(٧). وغني عن البيان أن المرونة لدى دعاة الحق تكون فيما لا يخرج عن الحق.

ثانيا: مفهوم العمل الدعوي:

مما لا شك فيه أن الوقوف على مفهوم العمل الدعوي يستلزم تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح، وذلك كما يلي:

١- الدعوة في اللغة:

مصدر للفعل الثلاثي (دَعَا) يقال: دَعَا يَدْعُو دَعْوَةً فهو داعٍ، ويقال: داعية (للمبالغة)، والجمع: دُعَاةٌ ودَاعُون، مثل: قاض وقضاة وقاضون.

وبالنظر في المعاجم اللغوية يتضح أن لكلمة (الدعوة) عدة معان، منها:

- النداء والطلب، يقال: (دَعَا الرَّجُلَ): ناداه وطلب إقباله.

- الحث على قصد الشيء، يقال: (دعاه إلى القتال): حثه عليه، و يقال: (دعاه إلى الدين): حثه على اعتقاده.

ومثال ذلك قوله – تعالى -: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ ﴾(٨) (٩).

وكل دعوة إلى دين أو مبدأ أو فكرة تحتاج من الداعي أن يتوجه إلى المدعو بالنداء طالباً منه الإقبال على اعتناق ما يدعو إليه، حاثًّا إياه على الاستجابة والتلبية، مستخدما المتاح والمناسب في سبيل تحقيق ذلك.

وقد اكتفيت بهذين المعنيين لكونهما أقرب المعاني اللغوية صلة بالمعنى الاصطلاحي للدعوة.

ولفظ الدعوة يستعمل في الخير والشر، كما في قوله – تعالى –:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ ﴾ (١٠)، وكل داعٍ يتميز بإضافته إلى ما يدعو إليه من خير أو شر.

والاصطلاح أو المقام هو الذي يحدد المقصود من الدعوة.

٢- الدعوة في الاصطلاح:

إذا أطلقت كلمة (الدعوة) فإنها "تطلق على الإسلام، وعلى عملية نشره وتبليغه وبيانه للناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد المعنى المراد"(١١).

والعلاقة وثيقة بين المعنيين، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، والتلازم بينهما هو التلازم الذي بين الرسالة والرسول، فلا رسول بدون رسالة، والرسالة لا تصل ولا تثمر ثمارها بدون رسول صنعه الله على عينه واجتباه واصطفاه لتبليغ رسالة الحق إلى الخلق لإخراجهم من الظلمات إلى النور.

فالدعوة بمعنى (البلاغ) هي حياة الدعوة بمعنى (الدين)؛ إذ هي "إبراز لوجوده، وتنفيذه في الواقع الحي الملموس"(١٢).

وقد تعددت تعريفات الدعوة في الاصطلاح تبعاً لتعدد رؤى الباحثين، وكل ما ورد من تعريفات للدعوة لا تخرج عن أحد مفهومي الدعوة: الدعوة بمعنى (الدين)، والدعوة بمعنى (البلاغ).

والذي يعنى به موضوع البحث هو الجانب التبليغي المبني على أساس علمي يرسخه المختصون في علم الدعوة، لذا سأذكر بعض تعريفات الدعوة المرتبطة بهذا الجانب، ومنها:

* **الدعوة هي:** "مجموعة القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس وتعليمه، وتطبيقه"[١٣]، وقد ذكر الدكتور / محمد أبو الفتح البيانوني هذا التعريف باعتباره تعريفا لعلم الدعوة، وكما هو ملاحظ أن هذا التعريف يجمع بين الأساس العلمي والعمل الدعوي، فإذا جُرِّد هذا التعريف من الجزء العلمي التنظيري يبقى الجزء العملي الدعوي، **فيكون العمل الدعوي هو**: (تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة) وهو ما ذكره الدكتور / محمد أبو الفتح البيانوني تعريفا لمصطلح الدعوة في موضع آخر من كتابه (المدخل إلى علم الدعوة)[١٤]

* **الدعوة هي:** "العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق"[١٥]. فإذا جُرِّد هذا التعريف من الجزء العلمي التنظيري يبقى الجزء العملي الدعوي، **فيكون العمل الدعوي هو**: (كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق).

* **الدعوة هي:** "فن يبحث في الكيفيات المناسبة التي نجذب بها الآخرين إلى الإسلام، أو يحافظ على دينهم بواسطتها"[١٦]، فإذا جُرِّد هذا التعريف من الجزء العلمي التنظيري يبقى الجزء العملي الدعوي، **فيكون العمل الدعوي هو**: (الكيفيات المناسبة التي نجذب بها الآخرين إلى الإسلام، أو يحافظ على دينهم بواسطتها).

وبناء على ما سبق يمكن **تعريف العمل الدعوي** بأنه: (بذل كافة الجهود القولية والعملية في ميدان الدعوة إلى الله – تعالى – بناء على الأسس العلمية الدعوية؛ لتحقيق أهداف الدعوة، وهي تعبيد الناس لرب العالمين، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وترجمة الإسلام إلى واقع معاش).

ثالثا: مفهوم المرونة في العمل الدعوي:

في ضوء ما سبق من بيان لمفهوم (المرونة)، ومفهوم (العمل الدعوي) يتضح مفهوم المرونة في العمل الدعوي، فأقول – مستعينا بالله –: (المرونة في العمل الدعوي تعني حرص الدعاة إلى الله – تعالى – على تحقيق جوانب التيسير، والقابلية للتغيير والتطوير، والقدرة على التكيف مع المتاح، ومراعاة الزمان والمكان والمدعو؛ لاختيار المناسب من وسائل الدعوة وأساليبها، مع الالتزام بالضوابط الشرعية؛ تحقيقا لأهداف الدعوة، وهي تعبيد الناس لرب العالمين، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وترجمة الإسلام إلى واقع معاش).

ويمكن القول: إن المرونة في العمل الدعوي تعني (كل تحوُّل يقوم به الدعاة إلى الله –تعالى– في العمل الدعوي، منضبطا بالضوابط الشرعية، رغبة في تحقيق أهداف الدعوة).

وفي المباحث التالية بيان لضوابط المرونة في العمل الدعوي، وتطبيقاتها، وآثارها.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

المبحث الأول

ضوابط المرونة في العمل الدعوي

إن المرونة في العمل الدعوي من الأصول المقررة في دعوات الأنبياء والمرسلين، ولأن الأمر كذلك يجب أن يعلم الدعاة إلى الله - تعالى - أنها ليست أمراً عشوائيا، بل تضبطها عدة ضوابط من شأنها أن تجعلها ذات فاعلية في تحقيق الثمرة المرجوة والهدف المنشود، ومن هذه الضوابط ما يلي:

أولا: حراسة المرونة بالوحي:

فلابد أن تكون المرونة في حراسة الوحي توجيها وإرشادا، لا عن هوى أو عصبية أو تقليد أعمى.. إلخ، والمرونة مادامت في حراسة الوحي سيكون نتاجها الخير بإذن الله تعالى.

ومما يدل على هذا قول الله – عز وجل –: ﴿... لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١٧]. وهذا اتباع لأمر الله ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٨].

فإذا استصحب الداعية المرونة في العمل الدعوي وجب عليه أن يستصحب معها الأصل المقرر في دعوات الأنبياء والمرسلين مع مراعاة تطورات العصر ومستجدات الأحداث بما لا يتنافى مع شرع الله عز وجل.

وعلى سبيل المثال:

قَصْدُ ذوى الجاه والسلطان – مسلمين أو غير مسلمين – أمر مقرر في الشرع لدعوتهم إلى الله، ومما يدل على ذلك:

١- أَمْرُ الله – سبحانه – لسيدنا موسى وهارون – عليهما السلام –: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[١٩].

و (قولا لينا) أي: (قولا لطيفا رفيقا)[٢٠]، لا قول تملق ونفاق تظهر في نبراته أمارات الخوف والضعف، وإلا فما كان هناك داع للخوف، إذ الخوف إنما هو من عاقبة الصدع بكلمة الحق لدى فرعون متجبر، ولذلك كان التهديد الفرعوني والطغيان السلطاني وما تنازل موسى عن دعوة الحق.

٢- قيام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بإرسال الرسل والرسائل إلى الملوك والأمراء لدعوتهم إلى الله تعالى: ﴿ ...يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٢١).

٣- عن طارق بن شهاب – رضي الله عنه – أن رجلا سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم – وقد وضع رجله في الغَرْزِ: أي الجهاد أفضل؟ قال: (كلمة حق عند سلطان جائر) (٢٢).

"وإنما صار ذلك أفضل الجهاد لأن من جاهد العدو وكان مترددا بين رجاء وخوف لا يدري هل يَغْلبِ أو يُغْلَب، وصاحب السلطان مقهور في يده، فهو إذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلف وأهدف نفسه للهلاك، فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف. والله أعلم" (٢٣).

وبناء عليه فإنه إذا جاز للداعية أن يتحول إلى ذوي الجاه والسلطان لتأليف قلوبهم ودعوتهم إلى طريق الله، فإنه لا يحل له أن يسير في ركابهم أو يتملقهم بإصدار أحكام تتوافق مع أهوائهم البعيدة عن شرع الله عز وجل، إذ أن صاحب ذلك السلوك يسقط بدعوته في غيابت الجب. أعاذ الله دعاة الإسلام من هذا السلوك.

ويُؤَيَّد هذا الضابط بالضابط التالي:

ثانيا: عدم المساس بأهداف الدعوة إلى الله تعالى:

إن الأهداف التي تسعى الدعوة إلى تحقيقها كثيرة ومتنوعة، وفي مقدمتها: أن تكون كلمة الله هي العليا، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهدايتهم إلى صراط الله المستقيم، كما جاء في قوله – سبحانه -: ﴿ ...وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢٤)، وفي قوله – سبحانه –: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(٢٥)، وفي قوله – سبحانه –: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾(٢٦).

فلابد أن تكون المرونة في العمل الدعوي بمنأى عن المساس بالأهداف التي يجاهد الدعاة إلى الله – تعالى – من أجل تحقيقها في واقع الناس، والتي تأخذ سمة الثبات، ولا يجوز التحول عنها أو التهاون في المجاهدة من أجل تحقيقها، إذ أن التحول عنها يعد تحولا عن تقرير الوحي الإلهي المبين لتلك الأهداف.

والثبات على تلك الأهداف أمر واجب، تحقيقاً لكلمات الله التي لا تبدل.

فالله – سبحانه وتعالى – يقول: ﴿... وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾(٢٧).

ويقول – جل شأنه –: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾(٢٨).

ويقول – عز من قائل –: ﴿... لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾(٢٩).

ويقول – جل وعلا –: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾(٣٠).

ويقول – تباركت أسماؤه –: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾(٣١).

فلا تبديل لكلمات الله؛ لأن التبديل دليل قصور وعدم إحاطة، وسبحانه وتعالى أحاط بكل شيء علما، علم ما كان وما يكون، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

ولأنه لا تبديل لكلمات الله، والداعية الحق يجاهد إعلاء لكلمات الله، وتحقيقا لهذا الهدف في دنيا الناس، فلا يجوز له بحال من الأحوال أن يتزحزح عن هدفه تزحزحا قلبيا، وإن جاز له في حالة الاضطرار أن يظهر الرجوع عن الغاية والهدف، كما قال – سبحانه -: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[٣٢].

وقد مدح الله – سبحانه وتعالى – رجالا مؤمنين بذلوا كل غال ونفيس في سبيل الثبات على عقيدتهم والدفاع عنها، فقال – عز من قائل -: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾[٣٣]، وأعظم أسوة للمسلمين في الثبات على الأهداف والمباديء والقيم وإغلاق أي باب للمساومة عليها هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فقد جاء المشركون إلى عمه أبي طالب يهددون ويتوعدون: اصرف عنا ابن أخيك وإلا فخلِّ بيننا وبينه، فما لانت عزيمة رسول الله، وما تحركت شعرةٌ حركةَ خوفٍ في جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما أعلنها كلمات مدوية بثبات

المؤمن المتصل بمولاه أغلق بها باب التنازلات عن الأهداف الدعوية فقال: "يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته"(٣٤).

وما أكثر المساومات والإغراءات التي عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فها هو "عتبة بن ربيعة يقول لقومه: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله يزيدون ويكثرون فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا"(٣٥)، كل ذلك ليتنازل رسول الله أو يتهاون في دعوته، فما كان.

ويأتي رهط من قريش إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قائلين:" يا محمد، هلم اتبع ديننا ونتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيرا مما بأيدينا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيرا مما في يدك قد شركت في أمرنا وأخذت بحظك، فقال: معاذ الله أن أشرك به غيره، فأنزل الله – تعالى –:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾(٣٦)، فغدا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المسجد الحرام، وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك"(٣٧).

وبعد المساومات والإغراءات كانت سياسة الإيذاء والتعذيب، فما انثنى عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عزم أحد من أتباعه رغم ضعفهم وقلة حيلتهم، وإنما رفعوا لواء الحق والهدى، وجادوا بأنفسهم في سبيل تحول أرض الصخور إلى منبع للنور.

وكل ما حدث من تطبيقات المرونة في العمل الدعوي كان محققا للهدف المنشود، ولا يخالف شرع الرب المعبود سبحانه وتعالى.

فالمرونة في العمل الدعوي في حياة الدعاة والمصلحين على مر الأزمان – وعلى رأسهم الأنبياء والمرسلون – قد تكون تحوُّلا مكانياً أو زمانياً أو حالِيًّا، لكنها لا تتطرق إلى الغاية أو الهدف أو المبدأ الذي يأخذ سمة الثبات ويرخص في سبيل تحقيقه كل غال ونفيس.

وقد تبدو المرونة – كما يظن البعض - هروبا أو تقاعسا أو تراجعا، لكنه مادامت الغاية ثابتة فلا بأس بتغيير المسار إذا كان الطريق المستقيم قد أقيمت به السدود والمعوقات، فالنهر إذا قابله سد منيع أو قابلته صخرة صلبة فإنه يغير مجراه ويحيط بالصخرة الصلبة ليواصل مسيره واندفاعه حتى يصل إلى المصب، وإذا كان تحول النهر يحدث بشكل طبيعي ينتهي إلى المصب بحسب طبيعة المجرى فإن الداعية له عقل يفكر به، يحدد به الهدف، ويغير به الوسائل والأساليب والمكان والزمان بما تتراءى له فيه المصلحة وبما يحقق له الهدف الذي يجاهد من أجله، لكن بشرط ألا تخرج تحولاته وتغيراته عن إطار شرع الله، أو يكون هذا التحول مضرًّا بالهدف ذاته في حالة تحققه، كأن يبقى هذا التحول المشبوه أو المشين نقطة سوداء في سجل الداعية وفي سجل البدايات الأولى لهذا الهدف، كمن يهدف إلى إصلاح أهله فيسلك طريق القطيعة مع والديه والمعاملة التي تأخذ شكل العقوق حتى يشعرهم بخطئهم، ولا ريب

في أن ذلك التحول يضر بالداعية وبالهدف الذي يسعى إلى تحقيقه أكثر مما ينفع، إذ أنه يخالف المنهج الإسلامي الذي تجلى في قول الله – تعالى -: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٣٨).

والمسلم عموما والداعية خصوصا لا بأس أن ينكفيء ويعتدل، المهم أن لا ينكسر عوده أو تلين عزيمته، فقد هزم المسلمون في غزوة أُحُد وما ضعفت عزيمتهم، وصالح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المشركين صلح الحديبية في آخر العام السادس من الهجرة النبوية وعاد وأصحابُه دون الوصول إلى البيت الحرام في عامهم هذا، وفي غزوة الأحزاب التي جاء في وصف شدتها قول الله – تعالى -: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾(٣٩).

في هذا الموقف الصعب، وبعد أن اشتد على الناس البلاء، "بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى عيينة بن حصن، وإلى الحارث بن عوف، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، إلا المراوضة في ذلك.

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة – رضي الله عنهما – فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله، أمراً تحبه فنصنعه، أم شيئاً أمرك الله به لابد لنا من العمل به، أم شيئا

تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم إلى أمر ما، فقال له سعد بن معاذ – رضي الله عنه -: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: فأنت وذاك.

فتناول سعد بن معاذ – رضي الله عنه – الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا "(٤٠).

" والحكمة في استشارته – صلى الله عليه وسلم – لبعض أصحابه – رضي الله عنهم – في هذا الموقف أنه كان يريد أن يطمئن إلى مدى ما يتمتع به أصحابه الصادقون – رضي الله عنهم – من القوة المعنوية والاعتماد على نصر الله وتوفيقه رغم هذا الذي فوجئوا به من تكالب الأحزاب عليهم، حيث اجتماع أشتات المشركين عليهم في كثرة ساحقة إلى جانب ما طلعت به بنو قريظة في الوقت نفسه من نقض العهود والمواثيق "(٤١).

فالمؤمن كالخامة كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (مثل المؤمن كالخامة من الزرع، تفيؤها الريح مرة، وتعدلها مرة) (٤٢)، المهم أن لا تخرج المرونة في العمل الدعوي عن شرع الله عز وجل، وأن لا تمس الهدف المراد تحقيقه بما يشوهه أو يسيء إليه ويقلل من قيمته أو قدره عند تحققه.

ثالثاً: ملازمة المرونة للحكمة في العمل الدعوي:

فلابد أن تكون المرونة منضبطة بالحكمة، ومن معاني الحكمة:

١- العلم والتفقه، كما قال الله – سبحانه -: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ (٤٣).

٢- العِلَّة، كما يقال: حكمة التشريع، وما الحكمة في ذلك؟ (٤٤).

فالمرونة في العمل الدعوي لابد أن تكون منضبطة بالحكمة بمعنييها هـذين، أي (بالعلم والتفقه، وإدراك العلة).

والداعية في ممارسته المرونة في العمل الدعوي بأي شكل من أشكالها أو تطبيـق من تطبيقاتها عليه أن تجيب حكمته علـى تلـك الأسـئلة إجابـات تـنم عـن حكمتـه، والأسئلة هي: متى تكون المرونة في العمل الدعوي؟ وكيف تكون؟ ولماذا؟

فالداعية الحكيم يتحين الوقت المناسب الذي يغلب فيه تحقق الثمرة المرجوة من المرونة في العمل الدعوي، وأستدل على ذلك بخطاب رب العالمين – سبحانه – لسيدنا لوط – عليه السلام – آمراً إياه بالتحول المكاني عن قريته التي كانت تعمـل الخبائـث: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ (٤٥).

والداعية الحكيم يفقه - أيضا - كيف تكون المرونة؛ لتحقـق الثمـرة، وأسـتدل على ذلك بقول الله – سبحانه - واصفاً حال سيدنا موسى – عليـه السـلام – أثنـاء تحوله عن أرض مصر، فرارا من الهلاك، وطلبا للنجاة بعد أن أخبر بما يدبر له: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢٠ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٤٦).

فهو تحول مصحوب بالترقب والحيطة والحذر والدعاء الخالص لله – سبحانه – بأن ينجيه من القوم الظالمين.

وكما ظهر ذلك جليا في هجرة سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث كان التخطيط الدقيق وتوزيع الأدوار؛ ليتم نجاح أعظم تحول في تاريخ دعوة الإسلام.

والداعية الحكيم يدرك علة ممارسة المرونة في العمل الدعوي، والعلة الأساسية هي تحقيق مصلحة الدعوة وتعميم خيرها.

ويظهر هذا جليا في مصالحة الرسول - صلى الله عليه وسلم - للمشركين صلحَ الحديبية في العام السادس من الهجرة، وعودته دون أن يصل إلى البيت الحرام، فرغم أن ذلك الصلح بشروطه قد أحزن الصحابة - رضي الله عنهم - وأهاج خواطرهم إلا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يرنو إلى الفتح المبين الذي وعده الله به، وكان صلح الحديبية مقدمة بين يدي ذلك الفتح.

ويستكشف سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الأمر من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول:) يا رسول الله، ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً، قال: فانطلق عمر فلم يصبر متغيظا فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر، ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولَمَّا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب، إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا، قال: فنزل القرآن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالفتح فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: نعم. فطابت نفسه ورجع) [٤٧].

فالعلة في ذلك التحول الزماني تحقيق مصلحة الدعوة إلى الله تعالى.

هذه مقتطفات من الحكمة التي يجب أن تضبط بها المرونة في العمل الدعوي؛ ليؤتي ثماره اليانعة فى دنيا الناس كما أراد رب العالمين وكما أراد رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

وفي المبحث التالي أبين – بإذن الله – أبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي، مقترنة ببيان آثارها الإيجابية في حال انضباطها بالضوابط الشرعية المذكورة.

المبحث الثاني

تطبيقات المرونة في العمل الدعوي وآثارها

إذا كانت المرونة في العمل الدعوي تعني (كل تحوُّل يقوم به الدعاة إلى الله – تعالى – في العمل الدعوي، منضبطا بالضوابط الشرعية، رغبة في تحقيق أهداف الدعوة) فربما يقول قائل: إن التحول في العمل الدعوي – أيا كان – قد يمثل ضرورة لتحقيق مصلحة الدعوة، فأين المرونة في ظل الضرورة؟

وردا على ذلك التساؤل أقول: ينبغي أن يعلم أن الذي يقرر أهمية ذلك التحول وضرورته بالنسبة للدعوة، واختيار الكيفية المناسبة للتحول، والزمان المناسب للتحول، والمكان المناسب للتحول... إلخ، هو القائم على أمر الدعوة – فرداً كان أو مؤسسة – مرتكزاً على التأصيل الإسلامي للتحول والتطبيق النبوي له، وهذا هو مناط المرونة في العمل الدعوي.

وفيما يلي **بيان لأبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي مقترنة ببيان آثارها،** واستمرار حاجة الدعوة إليها في كل زمان ومكان، اهتداءً بهدي سيد الدعاة إلى يوم الدين محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أولاً: التحول عن البشر في خلوة مؤقتة؛ للوقوف مع النفس وترتيب الأوراق:

إن التحول عن البشر في العمل الدعوي له مفهوم خاص وغاية عليا، وفيما يلي مزيد من الإيضاح:

١- المراد بالتحول عن البشر:

" لا ينبغي أن يفهم معنى التحول عن البشر بأنه الانصراف الكلي عن الناس واتخاذ الكهوف والجبال موطناً واعتبار ذلك فضيلة بحد ذاتها، فذلك مخالف لهديه صلى الله عليه وسلم، ولما كان عليه عامة أصحابه. إنما المراد هو استحباب اتخاذ الخلوة دواءً لإصلاح الحال، والدواء لا ينبغي أن يؤخذ إلا بقدر، وعند اللزوم، وإلا انقلب إلى داء ينبغي التوقي منه، وإذا رأيت في تراجم الصالحين من استمر على الخلوة والابتعاد عن الناس فمرد ذلك إلى حالة خاصة به، وليس عمله حجة على الناس "(٤٨).

٢- حاجة الدعاة إلى التحول عن البشر لفترة مؤقتة:

إن الدعاة إلى الله – تعالى – في كل عصر يحتاجون إلى التحول عن البشر لفترةٍ ما وقوفاً مع النفس وترتيباً للأوراق أو إعادة لترتيب الأوراق، مقتبسين القدوة في هذا من قائد الدعاة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فعن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – أنها قالت: (أول ما بديء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء..) الحديث (٤٩).

" والخلاء: الخلوة، والسر فيه أن الخلوة فراغ القلب لما يتوجه له "(٥٠).

لقد حببت الخلوة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في غار حراء قبل أن يوحى إليه، فكان يتحنث ويتعبد ويرتب أفكاره، ويبني مقدمات ليستخلص منها نتائج عامة وشاملة للكون وخالقه والعباد والمعبود، حتى نزل عليه وحي السماء مهذِّباً للنتائج التي توصل إليها ومثبِّته عليها، ويستطيع كل ذي لب أن يخلص من هذا إلى أن النزول إلى ميدان الدعوة دون مقدمات لا يولد مصلحاً ذا شأن؛ إذ أنه – في الغالب – يكون تأثره أكثر من تأثيره، وتتنازعه الأهواء والرغبات الملحة من حوله فيتقاعس أو يصيبه الإحباط فيتنازل عن فكرته ويحيد عن منهجه، بل إن المصلح قبل أن ينزل إلى أرض الواقع ومخالطة من يريد إصلاحهم عليه أن يخلو بنفسه بانياً لها ومحيطاً إياها بكل وسائل التحصين من خلال النظريات السليمة - التي تستمد سلامتها وصحتها من خلال منهج أثبت جدارته لقيادة البشر – التي يعتنقها وتتحول بداخله إلى عقيدة يتمسك بها ويدافع عنها بكل ما يستطيع، ثم ينزل إلى أرض الواقع ليضم التجربة الواقعية إلى الفكرة النظرية مع استبساله في عدم التأثر بالأهواء المحيطة وتذكير نفسه دائماً بالمنهج الصحيح ومشاورة أقرانه ورفقائه في الطريق الذي يسير فيه، وبهذا يصبح مصلحاً ذا شأن عظيم قدوته في ذلك سيد الدعاة وإمام المصلحين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فالخلوة مع النفس للتفكر والتدبر في الكون وخالقه وأحوال البشر وكيفية التعامل معهم – ارتكازاً على أصول الدعوات السماوية مع الابتكار في الشكل دون المضمون – تعتبر ضرورة لكل داعية يحجز لنفسه مكاناً بارزاً مؤثراً في كتائب الدعوة إلى الله – تعالى – بعيداً عن النزول المفاجيء إلى ميدان الدعوة والتخبط العشوائي، وكما قد تكون الخلوة قبل النزول إلى الميدان لاختيار البداية الصحيحة الموفقة ووضع النقاط على الحروف وترتيب أوراق الدعوة، فلا مانع أن تأتي تلك الخلوة – التي تعني التحول عن مخالطة البشر والتفاعل معهم لفترة ما – بعد نزول الميدان وتجرع قدر

من التجربة الواقعية، وفي هذه الحالة تكون الخلوة ضرورية للداعية لإعادة ترتيب الأوراق.

وقد تكون خلوة الإنسان بنفسه خلوة تعبدية يثاب عليها، تُشْحَن فيها قواه الروحية بطاقات إيمانية كما هو الحال في سنة الاعتكاف بالمساجد، و "حقيقة الاعتكاف المكث في المسجد بنية التقرب إلى الله تعالى "(٥١).

وقد تكون خلوة الإنسان بنفسه خلوة لا انتقال فيها عندما يعتاد الإنسان الصمت للتفكر والتدبر ومحاسبة النفس واستخلاص العظة والعبرة مما يُسْمَع ويُرَى ويُقْرَأ.

وقد تحدث فضيلة الشيخ / محمد الغزالي – رحمه الله – عن خلوته – صلى الله عليه وسلم – في غار حراء وأثر تلك الخلوة في نفسه – صلوات ربي وسلامه عليه – فقال: "كان محمد – صلى الله عليه وسلم – يهجر مكة كل عام ليقضي شهر رمضان في غار حراء، وهو غار على مسافة بضعة أميال من القرية الصاخبة، في رأس جبل من هذه الجبال المشرفة على مكة والتي ينقطع عندها لغو الناس وحديثهم الباطل، ويبدأ السكون الشامل المستغرق، في هذه القمة السامقة المنزوية كان محمد – صلى الله عليه وسلم – يأخذ زاد الليالي الطوال ثم ينقطع عن العالمين متجها بفؤاده المشوق إلى رب العالمين... في هذا الغار المهيب المحجب كانت نفس كبيرة تطل من عليائها على ما تموج به الدنيا من فتن ومغارم واعتداء وانكسار ثم تتلوى حسرة وحيرة لأنها لا تدري من ذلك مخرجاً، ولا تعرف له علاجاً.

وفي هذا الغار النائي كانت عين نفاذه محصية تستعرض تراث الهداة الأولين من رسل الله، فتجده كالمنجم المعتم لا يستخلص منه المعدن النفيس إلا بعد جهد جهيد، وقد يختلط التراب بالتبر فما يستطيع بشر فصله عنه.

في غار حراء كان محمد – عليه الصلاة والسلام – يتعبد، ويصقل قلبه، وينقي روحه، ويقترب من الحق جهده، ويبتعد عن الباطل وسعه، حتى وصل من الصفاء إلى مرتبة عالية انعكست بها أشعة الغيوب على صفحته المجلوة، فأمسى لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح. في هذا الغار اتصل محمد بالملأ الأعلى "(٥٢).

وقد ذكر الدكتور / البوطي في كتابه (فقه السيرة) تحليلاً رائعاً لخلوته – صلى الله عليه وسلم – قبيل البعثة، من حيث ما تثمره خلوة الداعية بنفسه لفترةٍ ما في ميدان الدعوة إلى الله، فقال: " إن لهذه الخلوة التي حببت إلى قلب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبيل البعثة دلالة عظيمة جداً لها أهمية كبرى في حياة المسلمين عامة والداعين إلى الله بصورة خاصة.

فهي توضح أن المسلم لا يكمل إسلامه مهما كان متحليا بالفضائل قائماً بألوان العبادات حتى يجمع إلى ذلك ساعات من العزلة والخلوة يحاسب فيها النفس، ويراقب الله تعالى، ويفكر في مظاهر الكون، ودلائل ذلك على عظمة الله.

هذا في حق أي مسلم يريد لنفسه الإسلام الصحيح، فكيف بمن يريد أن يضع نفسه موضع الداعي إلى الله والمرشد إلى الطريق الحق؟

إن تلك الخلوة تطهر النفس من آفاتها، وتنبت في القلب محبة إلهية عارمة تجعله يستصغر كل عظيم ويحتقر كل مغرية من المغريات، ويستهين بكل إيذاء وعذاب، ويستعلي فوق كل إذلال أو استهزاء، فتلك هي العدة الكبرى التي ينبغي أن يتسلح بها الدعاة إلى الله، وتلك هي العدة التي جهز الله بها حبيبه محمداً – صلى الله عليه وسلم – للقيام بأعباء الدعوة الإسلامية "(٥٣).

وهكذا تتضح أهمية وآثار التحول عن البشر لفترة ما في حياة المسلم عموماً وفي حياة الداعية إلى الله – تعالى – على وجه الخصوص؛ ترتيباً لأوراق طريق الحياة

بين الحين والآخر، أو إعادة لترتيب الأوراق، وهو من أبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي.

ثانياً: التحول من السرية إلى الجهرية ومن الجهرية إلى السرية في العمل الدعوي:

إن التدرج منهج إسلامي أصيل خاصة فيما يتعلق بتغيير ما ألفته النفوس وشبت عليه أزمانا متطاولة أخذ فيها سمة العصبية لموروثات الآباء والأجداد، فالمطالبة بالتغيير المفاجيء تولد التصادم، وغالباً لا يكون هذا التصادم في مصلحة الدعوة الجديدة الوليدة التي تمثل نبتة في جبل من الأحجار الشديدة القسوة.

ومن هنا بدئت الدعوة الإسلامية سرا، بعد الأمر الإلهي للنبي الأمي – صلى الله عليه وسلم -: (قُمْ فَأَنذِرْ) [٥٤]، واستمرت مرحلة السرية ثلاثة أعوام تتسع فيها دائرة الدعوة رويداً رويداً لتشمل بمحيطها كل من يوثق به من الأهل والأقربين والأصدقاء والمحبين تقوية لنسيج الدعوة وغرساً لبذورها في أرض تعج بالعصبية وتمعن في الضلال، وهذه مرحلة (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) [٥٥].

ولما آن الأوان لتلك البذور الطيبة أن تشق الأرض الصلبة لترى الضياء والنور ولتملأ جو الدُّنا بعبيرها وأريجها كان الأمر من رب العالمين لنبيه الأمين – صلى الله عليه وسلم – بأن يجهر بالدعوة (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِين) [٥٦].

وقد استجاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصعد على جبل الصفا وأعلنها كلمات مدوية صدع بها أُذُنَ الشرك والطغيان، وفطر بها قلوب الزيغ والضلال، وهز بها أركان الوثنية والبهتان.

(أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) [٥٧].

ولا شك أن التحول في الدعوة من الاتصال الشخصي ذي الإطار المحدود الحذر إلى هذا الإعلام الدعوي العام كان حدثاً له تبعاته من السخرية والاستهزاء والإيذاء لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأتباعه، إلا أنه كان أمراً لابد منه ليبدأ انطلاق نور الدعوة من الإطار المحلي المحدود إلى أفق العالمين، وفي سبيل ذلك تهون الصعاب وُتطْرَق الأبواب.

وهذا التحول صالح للاستخدام في العمل الدعوي في كل زمان ومكان، عندما يكون ذلك في صالح الدعوة وأتباعها وحملة لوائها، كأن تكون الدعوة وليدة في بلد لا يعرف عن الإسلام شيئاً ويرفع راية العصبية لعقيدته الخاصة، ولا يسمح بفتح الباب لعقيدة أخرى.

في هذا الموقف الذي يتشابه مع موقف بدء الدعوة الإسلامية يتعامل القائمون على أمر الدعوة معه بهذا التحول المرحلي الفعال.

وكذلك الأمر إذا هوجم الدعاة إلى الله، وذاقوا الويلات؛ لجهرهم بالدعوة في بلد يحتاج إلى من ينشر الإسلام فيه، لهم أن يتحولوا من الجهرية إلى السرية في العمل الدعوي.

فالتحول من السرية إلى الجهرية أو من الجهرية إلى السرية من أبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي.

ثالثا: التحول من مكان إلى مكان:

إن التحول من مكان إلى مكان يعني اختيار المكان المناسب الذي تتحقق فيه مصلحة الدعوة، فقد يبلغ الداعية مبلغاً من الضيق بأرض تحارب فيها دعوته، فليس الأمر قاصراً على عدم الاستجابة فحسب، بل يضاف إلى ذلك الصد عن سبيل الله – تعالى- بشتى أنواع الصد قولياً وعملياً، وإلحاق الأذى بالداعية وأتباعه، رجاء وأد الدعوة في مهدها قبل أن ينتشر أمرها وتقوى شوكة أتباعها.

وهو أمر قابل للتكرار والوقوع في كل زمان ومكان، ويمثل عقبة كئوداً في طريق الدعاة المخلصين الصادقين، وعلى رأسهم الدعاة من الأنبياء والمرسلين.

ويدل على هذا قول الله – سبحانه –: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾(٥٨).

وقوله – سبحانه – مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ... ﴾(٥٩).

والتكذيب في تاريخ الرسالات هو أول طريق العداء والاجتراء والافتراء، وتجاه هذا الواقع المر قد يكون الخير في أن يتحول الداعية بدعوته عن تلك الأرض ذات الجفوة إلى أرض أخرى إبقاء على النفس التي تمثل عنصر التبليغ، ورجاء أن يفتح الله لدعوته قلوباً تأخذ بقوالبها إلى كتائب الإسلام.

هذا التحول المكاني قد يقرره الداعية بإرادته حين يدرك ببصيرته الدعوية أن ذلك هو الأفضل بالنسبة للدعوة، وقد يكون هذا التحول إجبارياً تحت وطأة الأذى والعذاب والاضطهاد، وهذا هو الغالب في تاريخ دعوات الأنبياء والمرسلين وعلى رأسهم خاتمهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فالمتتبع لدعوات الأنبياء والمرسلين يدرك أن التحول المكاني يمثل مرحلة هامة أو معلماً أساسياً في تاريخها، وأنه لم يكن لمصلحة شخصية أو هوى، وإنما كان هجرة في سبيل الله وفراراً بالعقيدة الصحيحة من بؤرة مكانية تناصبها العداء إلى حيث يُسْمَح بالتأسيس والبناء.

فها هو سيدنا نوح – عليه السلام – يهاجر عبر لجة الطوفان من الأرض التي جفاه أهلها وسخروا به وآذوه ولم يؤمن معه إلا قليل رغم طول أعوام الدعوة إلى

أرض جديدة حيث تنبت فيها بذور الإيمان بعد هلاك الظالمين، قال – سبحانه – واصفاً هذا التحول بمقدماته ونتائجه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (٦٠).

وفى موضع آخر يقول – جل شأنه -: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٦١).

وها هو سيدنا إبراهيم – عليه السلام – يتحول في طريق دعوته هذا التحول المكاني كما قال – سبحانه وتعالى – على لسان سيدنا إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (٦٢).

يقول الإمام / الرازي في تفسيره: "لما بالغ إبراهيم في الإرشاد ولم يهتد قومه، وحصل اليأس الكلي، حيث رأى القوم الآية الكبرى – نجاته من النار بأمر الله – ولم يؤمنوا وجبت المهاجرة، لأن الهادي إذا دعا قومه ولم ينتفعوا فبقاؤه فيهم مفسدة، لأنه إن دام على الإرشاد كان اشتغالاً بما لا ينتفع به مع علمه، فيصير كمن يقول للحجر: صدق وهو عبث، أو يسكت، والسكوت دليل الرضا، فيقال: بأنه صار منا ورضي بأفعالنا، وإذا لم يبق للإقامة وجه وجبت المهاجرة.

وقوله: (مهاجر إلى ربي) يعني: توجهي إلى الجهة المأمور بالهجرة إليها ليس طلباً للجهة إنما هو طلب لله" (٦٣).

ونظير هذه الآية قوله – سبحانه – على لسان سيدنا إبراهيم – أيضاً -: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ) (٦٤).

يقول الإمام / الرازي عند تفسيره لهذه الآية: "دلت هذه الآية على أن الموضع الذي تكثر فيه الأعداء تجب مهاجرته، وذلك لأن إبراهيم – صلوات الله عليه وسلامه – مع أن الله – سبحانه – خصه بأعظم أنواع النصرة، لما أحسَّ منهم بالعداوة الشديدة هاجر من تلك الديار، فلأن يجب ذلك على الغير كان أولى"(٦٥).

وها هو سيدنا لوط – عليه السلام – يتحول هذا التحول المكاني بأمر من الله فراراً من الانحلال الأخلاقي الذي غرق فيه قومه، وانتكاس الفطرة الذي أصابهم إتياناً للذكور دون الإناث، وإنكارهم على آل لوط طهارتهم، وتوعدهم بالإخراج من القرية ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾(٦٦).

فيأمره الله بأن يتحول عن هذه القرية الخبيثة التي استحقت عقاب الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾(٦٧).

وفي تفسير قول الله – سبحانه –: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٦٨)، قيل: "يحتمل عود الضمير في قوله: (وقال إني مهاجر) على لوط لأنه هو أقرب المذكورين ويحتمل عوده على إبراهيم"(٦٩).

وها هو سيدنا شعيب – عليه السلام – يتوعده قومه بأن يخرجوه ومن آمن معه من قريتهم لمخالفتهم في ملتهم، قال – سبحانه –: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾

قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ (٧٠).

يقول الإمام / القرطبي عند تفسيره لهاتين الآيتين: " قوله – تعالى -: { قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا } أي: لتصيرن إلى ملتنا، وقيل: كان أتباع شعيب قبل الإيمان به على الكفر. أي لتعودن إلينا كما كنتم من قبل. فقال لهم شعيب – عليه السلام –: { أولو كنا كارهين } أي: ولو كنا كارهين تجبروننا عليه؟ أي: على الخروج من الوطن أو العود في ملتكم؟ أي: إن فعلتم هذا أتيتم عظيما. قوله – تعالى -: { قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها } إياس من العود إلى ملتهم. { وما يكون لنا أن نعود فيها } أي: في القرية بعد أن كرهتم مجاورتنا، بل نخرج من قريتكم مهاجرين إلى غيرها. { إلا أن يشاء الله ربُّنا } ردَّنا إليها " (٧١).

وها هو سيدنا موسى – عليه السلام – يأتيه الأمر من الله بأن يتحول وأتباعه هذا التحول المكاني فراراً بعقيدتهم وأنفسهم من بطش فرعون وجنوده: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ (٧٢).

وها هو سيدنا يونس – عليه السلام – يضيق صدره بعناد قومه فيخرج من بينهم مغاضباً كما قال – سبحانه –: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٧٣).

وها هو نبي الله عيسى – عليه السلام – يهرب من اليهود حينما كذبوه وأرادوا الفتك به، وفي تفسير قول الله – جل جلاله –: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ

رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾(٧٤)، يقول الإمام / ابن كثير – رحمه الله -: "كان من خبر اليهود عليهم لعائن اللّه وسخطه وغضبه وعقابه، أنه لما بعث اللّه عيسى ابن مريم بالبينات والهدى، حسدوه على ما آتاه اللّه – تعالى – من النبوة والمعجزات الباهرات التي كان يبريء بها الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ويصور من الطين طائراً ثم ينفخ فيه فيكون طائراً يشاهد طيرانه بإذن اللّه عزَّ وجلَّ، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمه اللّه بها وأجراها على يديه، ومع هذا كذبوه وخالفوه، وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم، حتى جعل نبي اللّه عيسى – عليه السلام – لا يساكنهم في بلدة، بل يكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام "(٧٥).

وها هو خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – يرى ما يصيب أصحابه من البلاء في مكة، استضعافاً وإجحافاً، فيأمرهم بالهجرة إلى أرض الحبشة المحصنة بالعدل، خوفاً من أن يفتنوا في دينهم تحت وطاة الأذى والعذاب، وفي أول فرصة سانحة يقوم جعفر بن أبى طالب – رضي الله عنه – المتحدث باسم المهاجرين المسلمين – بعرض أنوار الدعوة الإسلامية أمام ملك الحبشة بأبرع ما يكون الأسلوب الدعوي الدبلوماسي.

ويتحول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن مكة إلى الطائف رجاء أن يجد آذاناً صاغية وقلوباً واعية تؤمن بدعوته فلم يجد إلا الصدود والإعراض والأذى.

وتأتى الهجرة المباركة من مكة إلى المدينة لتمثل نقطة تحول في تاريخ المسلمين حيث تحول المسلمون بعدها من القلة إلى الكثرة، ومن الضعف إلى القوة، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الذل إلى العز، ومن الهزيمة إلى النصر، وتكونت دولة إسلامية كبرى لم يعرف التاريخ لها مثيلاً.

ولم يكن ذلك التحول اختياريا، بل فرضته مصلحة الدعوة التي تقف في وجهها قوى البغي والطغيان، ولذلك كان إخراجاً لا خروجاً، ويدل على هذا:

قول الله – سبحانه –: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (٧٦).

وقوله – تعالى –: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧٧).

وقوله – سبحانه –: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ (٧٨).

وقوله – سبحانه –: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ (٧٩).

وقوله – عز من قائل –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ... ﴾ (٨٠).

وقول ورقة بن نوفل لسيدنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بعد أن أخبره خبر الوحي: (هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا) (٨١).

فتعرض الدعاة إلى الله تعالى للمعاداة والإخراج متأصل بجذوره في دعوات الأنبياء والمرسلين.

وقوله – صلى الله عليه وسلم – في فضل مكة: (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخْرِجْتُ منك ما خرجت) (٨٢).

ويهاجر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من بلده التي تربى بين ربوعها، وتعلق فؤاده بكل حصاة من حصياتها، "وبهذه الهجرة تمت لرسولنا صلى الله عليه وسلم سنة إخوانه من الأنبياء من قبله، فما من نبي منهم إلا نبت به بلاد نشأته فهاجر عنها.. فلا غرابة أن هاجر – صلى الله عليه وسلم – من بلاد منعه أهلها من تتميم ما أراده الله ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾" (٨٣) (٨٤).

ودعاء المستضعفين من النساء والولدان هو – كما ذكر الله –: ﴿ ...رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ (٨٥).

وينبغي أن يعلم أن الذي يهاجر في سبيل الله ليست هجرته هرباً من طغيان الطغاة بقدر كونها محاولة لإيجاد أرض أخرى تبذر فيها بذور الدعوة إلى الله تعالى، ومن يدري؟ فقد يأتي الخير من حيث لا يُحْتَسَب، كما قد يأتي الشر من حيث لا يُحْتَسَب. "فالهجرة نفسها ضرب غير يسير من ضروب العذاب والألم في سبيل الدين، فهي ليست – في الحقيقة – هربا من الأذى، وبحثا عن الراحة، بل هي تبديل للمحنة ريثما يأتي الفرج والنصر" (٨٦).

وباب الهجرة – عند خوف الفتنة في الدين – مفتوح، فمن قصر وفتن في دينه فقد ظلم نفسه وجنى عليها، اللهم إلا إذا كان صاحب عذر أو ضعف أو عجز عن الهجرة فهو على رجاء في عفو الله ومغفرته، ومن هاجر في سبيل الله عوضه الله خيرا إن أبقاه أو توفاه، وفي ذلك يقول الحق – سبحانه –: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ

فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةًۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٨٧]، فالتحول من مكان إلى مكان؛ تحقيقا لمصلحة الدعوة من أبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي.

رابعا: التحول من زمان إلى زمان:

إن التحول من زمان إلى زمان يعني اختيار الزمن المناسب للقيام بالعمل الدعوي الذي تتحقق به مصلحة الدعوة، وهذا يحتاج إلى فطنة وتخطيط وحسٍّ دعوي عالٍ تُدْرَك به إمكانية تحقق الغاية المرجوة في وقت دون آخر.

ولعل هذا التحول الزماني يُدْرَك من خلال تخوُّل الرسول - صلى الله عليه وسلم - الناس بالموعظة، إذ أن للنفوس إقبالاً وإدباراً.

فعن أبي وائل قال: (كان عبد الله – هو ابن مسعود وكنيته أبو عبد الرحمن – يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لَوَدِدْتُ أنك ذكرتنا كل يوم. قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُمِلَّكُم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتخولُنا بها مخافة السآمة علينا)[٨٨].

ولعل هذا التحول الزماني يُدْرَك أيضا من خلال بدء الدعوة الإسلامية سراً لفترة ثلاث سنوات حتى أذن الله لنبيه بالجهر بالدعوة بعد أن تكونت كتيبة الإسلام الأولى التي تمثل بذرة طيبة لشجرة الإسلام التي امتدت فروعها وظللت بظلالها ربوع العالمين.

ولعل هذا التحول الزماني يدرك أيضا من خلال تأخر مشروعية القتال في الإسلام حتى خرج المسلمون من بؤرة الاستضعاف المكي إلى ساحة الميدان المدني حيث انطلاق كتائب المجاهدين لنشر دين الله وإزالة كل حجر عثرة يقف في طريق دعوة الإسلام.

ولعل هذا التحول الزماني يُدْرَك أيضا من خلال إرساء النبي - صلى الله عليه وسلم - دعائم الاستقرار للدولة الجديدة الناشئة بعد الهجرة المباركة من مكة إلى المدينة، حيث إن طبيعة المرحلة تقتضي ترتيب الأوراق، والتخطيط الدقيق لهذا الطريق قبل الانطلاق، وإغلاق الباب أمام بواعث الفتنة والشقاق، فكان الدستور الذي نسج المسلمين جميعا بنسيج الوحدة الإسلامية حيث المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ونظم علاقة المسلمين بغيرهم حيث المعاهدة التي حددت لليهود ما لهم وما عليهم.

ولعل هذا التحول الزماني يُدْرَك أيضا من خلال قبول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلح الحديبية، وإعطائه المشركين كل ما سألوه من الشروط، وتساهله معهم في أمور لم يجد أحد من الصحابة ما يسوغ التساهل فيها، إذ أن هذا الصلح قد أثمر ثماراً طيبة للإسلام والمسلمين "، إن أمر هذا الصلح كان مظهراً لتدبير إلهي محض تجلى فيه عمل النبوة وأثرها كما لم يتجل في أي عمل أو تدبير آخر، فقد كان نجاحه سراً مرتبطا بمكنون الغيب المطوي في علم الله وحده، ولذلك انتزع دهشة المسلمين أكثر مما اعتمد على فكرهم وتدبيرهم.

إن صلح الحديبية كان مقدمة بين يدي فتح مكة، وتلك هي سنة الله سبحانه وتعالى، أن يوطِّيء بين يدي الأمور التي تعلقت إرادته بإنجازها مقدمات تؤذن بها وتدل عليها.

ولئن لم يكن المسلمون قد تنبهوا لهذا في حينه، فذلك لأن المستقبل غائب عنهم، فأنى لهم أن يفهموا علاقة الواقع الذي رأوه بالغيب الذي لم يتصوروه بعد؟

ولكن ما إن مضت فترة من الزمن حتى أخذ المسلمون يستشفون أهمية هذه الهدنة وعظيم ما قد انطوت عليه من خير، فإن الناس أمن بعضهم بعضا، واختلط المسلمون بالكفار ونادوهم بالدعوة، وأسمعوهم القرآن، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين، وظهر من كان متخفيا بالإسلام "(٨٩).

وقد روى ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق عن الزهري قال: " ما فُتِحَ في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وآمن الناس بعضهم بعضا، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يُكَلَّم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر. ثم قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مئة في قول جابر بن عبد الله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف"(٩٠).

ومن أجل هذا الخير العميم والفتح العظيم الذي أعقب هذا الصلح سمى الله هذا الصلح فتحا، فقال – سبحانه -: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾(٩١)، " وهو صلح الحديبية "(٩٢).

ويظل هذا التحول الزماني من أبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي، ويبقى صالحا للاستخدام في ميدان الدعوة في كل زمان ومكان؛ تحقيقا لمصلحة الدعوة.

خامساً: التحول إلى ما يناسب المدعو من الوسائل والأساليب:

إن دعوة الناس قد تبدوا أمرا يسيرا لمن نظر إليها على أنها مجرد دعوة فحسب دون أن ينظر إلى تحقق ثمرة تلك الدعوة.

وإذا كان ذلك كذلك فإن الذي يعنيه أمر الدعوة من حيث الغاية والنتيجة يدرك بيقين أن الوصول إلى موقع الإقناع العقلي والتأثير القلبي لدى بني الإنسان ليس أمراً يسيراً، بل هو من الصعوبة بمكان، نظراً لتفاوت إدراكاتهم وتباين اتجاهاتهم، ومن هنا اهتم الإسلام اهتماما عظيما بمدِّ يد العون الفكري والقلبي للإنسان، ليصل من خلال إدراكه الواعي وإرادته الحرة إلى دين الحق.

وبدون هذا العون الإلهي يصبح الوصول إلى الحق أمراً عسيراً، "لقد جاء هذا الدين يخاطب الإدراك البشري بكل قواه وطاقاته: يخاطب العقل المفكر، ويخاطب الوجدان المنفعل"(٩٣).

يقول فضيلة الشيخ / محمد الغزالي – رحمه الله -: "إن الإسلام في تكوينه للعقيدة يخاطب القلب والعقل، ويستثير العاطفة والفكر، ويوقظ الانفعالات النفسية مع إيقاظه للقوى الذهنية"(٩٤).

وما الحواس البشرية الظاهرة إلا سبل تنتقل من خلالها وقائع العالم الخارجى إلى النفس الإنسانية المدركة (عقلاً وقلبا)، ليصدر الحكم عليها من خلال الدستور الكامن فيها، ذلك الدستور الذي عنيت الدعوة الإسلامية بتسطير مواده في ازدواجية تجمع بين قناعة العقل وعاطفة القلب، والأصل في ذلك قول الله – عز وجل – مخاطباً نبيه الأمين – صلى الله عليه وسلم – وكُلَّ من يملك مؤهلات الدعوة إلى يوم القيامة: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ... ﴾(٩٥).

فبالحكمة والمجادلة تخاطب طاقة الفكر، وبالموعظة الحسنة تخاطب عاطفة القلب، فالداعية عليه أن يتحول في دعوته إلى ما يناسب المدعو، وهو ما يسمى بمراعاة أحوال المخاطبين (٩٦)، وكل نفس (مطمئنة أو لوامة أو أمارة بالسوء) لها ما يناسبها ويجدي معها في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.

* فمن المدعوين من يناسبه التركيز على الجانب العقلي، ومنهم من يناسبه التركيز على الجانب العاطفي، ومنهم من يناسبه المزج أو الجمع بينهما، وقدوة الدعاة في ذلك سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فعن سليم بن عامر عن أبي أمامة قال: (إن فتى شابا أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: ادنه، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)[٩٧].

فانظر كيف تعامل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع الجانب العقلي الإقناعي ثم أتبعه بالتعامل مع الجانب العاطفي التأثيري، وكيف أثمر هذا التعامل ثمرته مع هذا الشاب.

* ومن المدعوين من يناسبه القول، ومنهم من يناسبه القدوة والسلوك، ومنهم من يناسبه الجمع بينهما، كما ظهر ذلك جليا عندما عقد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع المشركين صلح الحديبية وحزن المسلمون لكونهم جاءوا معتمرين فصدوا عن البيت، " فأقبل النبي – صلى الله عليه وسلم – على أصحابه فقال لهم: قوموا فانحروا ثم احلقوا – وكرر ذلك ثلاثا – فوجم جميعهم وما قام منهم أحد، فدخل على زوجته أم سلمة، وذكر لها ما لقي من الناس، فقالت له: يا رسول الله، أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك،

فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل الآخر لفرط الغم "[٩٨].

* ومن المدعوين من يناسبه الترغيب، ومنهم من يناسبه الترهيب، ومنهم من يناسبه الجمع بينهما على حسب الحال... إلخ.

والداعية ببصيرته الدعوية يتحول إلى ما يناسب المدعو، وهذا يستلزم "أن يكون الداعي عالماً بأحوال الناس، خبيراً بأمراض الاجتماع؛ ليدعو ويرشد كل فريق بما يناسبه، فإن كان يجهل أحوال الناس وعللهم أخطأ كثيراً في إصلاح القلوب وعلاج النفوس، وكان كمتطبب جرب دواءً في مرض خاص فنجع فصار يصف ذلك الدواء بعينه لكل مريض، وخطر ذلك على الأبدان جسيم، فكذا على القلوب "[٩٩].

وأود التنبيه إلى أن العمل الدعوي اليوم بحاجة إلى التجديد في الدعوة وعدم الجمود على بعض الأساليب الرتيبة التي تولد رتابتها نفورا وإعراضا في نفوس المدعوين.

كما أن العمل الدعوي اليوم يحتاج إلى تطوير وسائله وتوظيف التقنية الحديثة في نشر دين الله، وأن تكون للمسلمين وسائلهم الإعلامية القادرة على المنافسة بل الهيمنة على المستوى الإعلامي المحلي والعالمي، والتأثير في دنيا الناس بإعلام إسلامي متخصص ذي إمكانيات ومؤهلات على مستوى المؤسسة الإعلامية أفراداً وآلات.

ولعل انصراف كثير من الناس عن الدعوة والدعاة يرجع إلى عدم قدرة الأجهزة الدعوية على التنافس مع الوسائل الإعلامية والتثقيفية الأخرى من حيث التطور والاستحواذ على العقول والقلوب.

وهذا يتطلب من القائمين على أمر الدعوة إلى الله – تعالى – أن يشمروا عن ساعد الجد كي يدرسوا ويتدارسوا أمر الدعوة بين الواقع وما يجب أن يكون من خلال مؤتمرات عالمية للدعوة والدعاة بشرط أن تخرج توصيات تلك المؤتمرات إلى حيز التنفيذ في ظل متابعة دقيقة للتقييم والتقويم.

ولن يتحقق هذا إلا بإدراك حقيقي لأهمية الدعوة في النهوض بالمجتمعات وإخلاص النية لله – تعالى- في العمل على رفعة شأن الدعوة والدعاة.

فالتحول إلى ما يناسب المدعو من الوسائل والأساليب ومواكبة تطورات العصر ومستجدات الأحداث مع عدم المساس بثوابت الدين من أبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي.

سادساً: التدرج في العمل الدعوي:

إن التدرج التشريعي منهج إسلامي أصيل؛ إذ أن إثقال النفوس بالتكاليف دفعه واحدة يسلك بها مسلك الإعراض وعدم الاستجابة، ومثال هذا: التدرج في تحريم الخمر، والتدرج في تحريم الربا.

وكما أن التدرج التشريعي منهج إسلامي أصيل فكذلك التدرج التبليغي منهج إسلامي أصيل، والداعية الحكيم يفقه كيف يستخدم المرونة متدرجا بالناس في العمل الدعوي.

ومن هنا تجلت حكمة النبي - صلى الله عليه وسلم - ومعرفته بطبائع النفوس عندما بعث معاذا إلى اليمن فقال – موجها له -: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله – عز وجل – فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم)[١٠٠].

وأبرز ما يجلي ذلك التدرج التبليغي (التوسع الدعوي من المحلية إلى العالمية)، والذي نحتاج إليه في يومنا هذا أكثر من ذي قبل، ولا يخفى أن العمل على بث المباديء الجديدة في نفوس خاوية أو في نفوس ذات باع طويل في اعتناق النقيض لايكون دفعة واحدة ولا يحقق ثمرته مرة واحدة.

وقد ظهر هذا التدرج أثناء التوسع الدعوي في دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأجلى ما يكون، فبعد التحول من السرية إلى الجهرية في الدعوة إلى الله – تعالى - بدأت مسيرة التوسع من المحلية إلى العالمية رويداً رويداً، كما يلي:

* لما هاجر المسلمون إلى الحبشة وكان استجواب النجاشي لهم، أجاب سيدنا جعفر بن أبي طالب إجابة عرض فيها دعوة الإسلام – بصفائها ونقائها – عقيدة وعبادة وشريعة وأخلاقاً، عرضاً امتلك به لب النجاشي الذي أَمَّنَهم في دياره.

* ولما اشتد أذى المشركين بمكة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحول بدعوته إلى خارج مكة، تحول إلى الطائف، "وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلاً، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام فلم تجب إليه واحدة منها"[١٠١]، فلما وصل إلى الطائف دعا أهلها إلى الله وإلى نصرة الإسلام فكانوا أشد عليه من أهل مكة، فلجأ إلى الله – سبحانه - شاكيا إليه ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس، وهذا اللجوء إلى الله هو ما يجب أن يكون عليه حال الدعاة إلى الله في كل آن خاصة عندما تواجههم الشدائد وتعترضهم العقبات، فإن اللجوء إلى الله يعقب المحنة منحة، وهو ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي، فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا، فقص الله خبرهم عليه - صلى الله عليه وسلم - فقال – سبحانه -: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ

ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [١٠٢]، وقال – تبارك وتعالى -:﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [١٠٣]، إلى آخر ما ورد من خبرهم في هذه السورة الكريمة "[١٠٤].

* ثم أخذ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعرض دعوته على قبائل العرب في المواسم، وما سمع رسول الله بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا وتصدى له فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده.

* ثم كانت بيعة العقبة الأولى في موسم الحج سنة ١٢ من النبوة، يوليو سنة ٦٢١م، حيث التقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ باثني عشر رجلاً من أهل يثرب عند العقبة فبايعهم وبايعوه بيعة النساء، أي وِفْقَ بيعتهن التي نزلت بعد الحديبية.

عن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال وحوله عصابة من أصحابه: (تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فأمره إلى الله: إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه) قال: فبايعناه على ذلك[١٠٥].

* وبعد أن تمت البيعة وانتهى الموسم بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – مع هؤلاء المبايعين إلى يثرب أول سفير في الإسلام، وهو مصعب بن عمير – رضي الله عنه – ليعلم المسلمين فيها شرائع الإسلام، ويفقههم في الدين، وليقوم بنشر الإسلام بين

الذين لم يزالوا على الشرك، وقد وفق الله مصعب في مهمته حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون أو على الأقل ذِكْرٌ لدعوة الإسلام[(١٠٦)].

* ثم كانت بيعة العقبة الثانية في موسم الحج التالي، حيث التقي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين من أهل يثرب، فقالوا: يا رسول الله، علام نبايعك؟ قال: (تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة) [(١٠٧)]، فبايعوه، وبعد أن تمت البيعة طلب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يختاروا اثني عشر زعيماً يكونون نقباء على قومهم، يكلفون بالمسئولية عنهم في تنفيذ بنود هذه البيعة [(١٠٨)].

* ثم كانت الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بداية التوسع الدعوي كما ينبغي أن يكون.

* ثم كانت مشروعية القتال، ولا يخفى أن من أسباب مشروعيته إزالة كل حجر عثرة يقف في طريق نشر الدعوة وحمل لوائها إلى ربوع العالمين.

* ثم كانت بداية مكاتبات الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى ملوك وأمراء الآفاق يدعوهم إلى الله – عز وجل – وإلى الدخول في دين الإسلام، إذ أن الناس غالباً على دين ملوكهم، وكان ذلك في آخر سنة ست من الهجرة حين رجع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الحديبية، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، وقد كانت هذه المكاتبات ذات أثر فعال في الإعلام العالمي بهذا الدين العظيم ونبيه الكريم صلى الله عليه وسلم"[(١٠٩)].

* ثم كان فتح مكة سنة ٨ هـ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وتوالت الوفود إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليبايعوه على الإسلام، وقد سمي العام التاسع الهجري بعام الوفود "(١١٠).

* كما حرص النبي – صلى الله عليه وسلم – على إرسال دعاته إلى الأمصار لدعوة أهلها إلى الله وتعليمهم الإسلام، فقد بعث – صلى الله عليه وسلم – سيدنا معاذاً إلى اليمن كما سبق ذكره.

وهكذا يتضح أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يترك سبيلاً إلا وسلكه تحقيقاً لعالمية الإسلام:

كما قال – سبحانه –: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) (١١١).

وكما قال – صلى الله عليه وسلم –: (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة) (١١٢).

وهذا التوسع من المحلية إلى العالمية أمر طبيعي ومنطقي لنجاح كل دعوة، فالإنسان يتحمل مسؤوليته أولاً عن نفسه ثم عن أهله وعشيرته ثم عن أهل حيه وبلدته ثم بعد ذلك عن كافة الناس بقدر استطاعته.

ومن ثم فإنه يجب على المؤسسات الدعوية أن تطرق كل باب فيه نشر للإسلام وتحقيق لعالميته وفقا لمنهج التدرج التبليغي الذي يعد من أبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي التي تفيد في اختيار الخطوة الملائمة بحسب رؤية القائمين على أمر الدعوة.

سابعاً: استخدام المداراة في بعض الأحوال:

إن المرونة في العمل الدعوي تقتضي إمكانية استخدام الداعية المداراة في بعض الأحوال؛ تحقيقا لمصلحة الدعوة والداعية والمدعو كذلك.

قال ابن بطال: "المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة، وسل السخيمة... والمداراة هي الرفق بالجاهل الذي يستتر بالمعاصي ولا يجاهر بالكبائر، والمعاطفة في رد أهل الباطل إلى مراد الله بلين ولطف حتى يرجعوا عما هم عليه"(١١٣).

وقال ابن حجر: "المداراة الدفع برفق"(١١٤).

وقال المناوي: "المداراة: الملاينة و الملاطفة"(١١٥).

وقال أحد الباحثين: "المداراة معناها التلطف بالمدعو، وإظهار البشاشة له، ومراعاته، دون إخفاء أو تحسين لباطل أو تغيير لحقيقة"(١١٦).

وللمدارة أمثلة تطبيقية في حياة النبي ﷺ.

فقد أفرد الإمام البخاري في صحيحه باباً بعنوان (المداراة مع الناس) وأورد فيه حديثاً عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – أَخْبَرَتْهُ أنه اسْتَأْذَنَ عَلَى النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رجلٌ فَقَالَ: (ائْذَنُوا لَهُ، فبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ – أو بئس أَخُو الْعَشِيرَةِ – فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ ما قُلْتَ ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ في القول. فقَالَ: أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ منزلة عند الله مَنْ تَرَكَهُ – أَوْ وَدَعَهُ – النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ) (١١٧).

وبناء عليه فالمداراة لمصلحة الدعوة صورة من صور المرونة في العمل الدعوي.

ولأنه قد يكون هناك تداخل عند البعض بين مفهوم المدارة والمداهنة فالأمر يتطلب توضيح مفهوم المداهنة:

قال الجرجاني: (المداهنة هي أن ترى منكرا وتقدر على دفعه ولم تدفعه حفظاً لجانب مرتكبه أو جانب غيره أو لقلة مبالاةٍ في الدين) (١١٨).

فمن خلال مفهوم المداهنة السابق ذكره يتضح أن المرونة والمداراة – التي هي صورة من صور المرونة – شيء، و المداهنة شيء آخر، فالمرونة والمداراة جائزة بخلاف المداهنة فإنها محرمة شرعاً.

ويشير إلى هذا المعنى الإمام / ابن القيم بقوله: (وكذلك المداراة صفة مدح، والمداهنة صفة ذم، والفرق بينها أن المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يرده عن الباطل، والمداهن يتلطف به ليقره على باطله ويتركه على هواه، فالمداراة لأهل الإيمان والمداهنة لأهل النفاق) (١١٩). وهذا ما يؤكده ابن بطال بقوله: (وقد ظن من لم ينعم النظر أن المداراة هي المداهنة، وذلك غلط، لأن المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة) (١٢٠).

ويوضح القرطبي محل الفرق بقوله: (والفرق بين المداراة والمداهنة، أن المداراة: بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدّين، وهي مباحة ومستحسنة في بعض الأحوال، والمداهنة المذمومة المحرمة: هي بذل الدّين لصالح الدنيا) (١٢١).

ونخرج من ذلك أن المداراة صورة من صور المرونة، وأن المداهنة شكل من أشكال النفاق.

كانت تلك أبرز تطبيقات المرونة في العمل الدعوي مقترنة بآثارها في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثالث

معوقات المرونة في العمل الدعوي وسبل مواجهتها

إن المرونة في العمل الدعوي تمثل جانبا من منظومة الدعوة إلى الله تعالى، وبناء عليه يصيبها ما يصيب المنظومة، وتتعرض للكثير من المعوقات التي تجعلها غير ملموسة في ميدان الدعوة في كثير من الأحيان، الأمر الذي يتطلب مواجهة تلك المعوقات بما يناسبها، وفي هذا المبحث بيان لأبرز تلك المعوقات وسبل مواجهتها، وذلك كما يلي:

أولا: معوقات المرونة في العمل الدعوي:

إن أغلب معوقات المرونة في العمل الدعوي وثيقة الصلة بذات الداعية، وسيتضح ذلك من خلال استعراض تلك المعوقات على النحو التالي:

١- التعصب للرؤية الشخصية:

إن التعصب لأسلوب دعوي معين، أو وسيلة دعوية معينة، من أبرز معوقات المرونة في العمل الدعوي، والتعصب هو "شيمة من شيم الضعف، وخلة من خلل الجهل، يبتلى بها الإنسان فتعمي بصره و تغشي عقله، فلا يرى حسناً إلا ما حَسُن في رأيه، وصواباً إلا ما ذهب إليه أو من تعصب له "(١٢٢)، وغالبا ما يأتي هذا التعصب بنتائج سلبية في ميدان الدعوة إلى الله تعالى: جمودا للدعوة، وإعراضا عنها، ونفورا من الداعي، وفي المقابل تفاعل مع دعاة آخرين يترجمون المرونة، ولكن – وللأسف - ربما يتبنون غير الحق.

إن التعصب من قِبَل بعض الدعاة لأسلوب دعوي معين أو وسيلة دعوية معينة دون نظر إلى أسلوب آخر ربما يكون أقوى تأثيرا، أو وسيلة أخرى ربما تكون أسرع

وصولا وأوسع نطاقا، دليل على عدم فقه المرونة في العمل الدعوي، فالأمر – بالنسبة لاستخدام الأساليب والوسائل – فيه سعة طالما أنه في إطار المشروع أو المباح، المحقق لأهداف الدعوة بإذن الله.

٢- التقليد الأعمى **لبعض الدعاة المبرزين:**

إن التقليد منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم، وبما أنه قد ذكر في إطار المعوقات فمن المؤكد أن المراد هنا هو التقليد الباطل المذموم، الذي عرفه شيخ الإسلام / ابن تيمية – رحمه الله – بأنه "قبول قول الغير بلا حجة"(١٢٣). كما عرفه الخطيب البغدادي بأنه "قبول القول من غير دليل"(١٢٤).

وهذا النوع من التقليد هو المذموم في الشريعة الإسلامية، قال – جل وعلا –: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(١٢٥).

وبما أن الحديث عن العمل الدعوي، فيمكن القول: إن التقليد الأعمى في هذا الميدان هو (السير في ركاب بعض الدعاة تقليدا لأساليبهم ووسائلهم دون النظر إلى اختلاف الزمان أو المكان أو المدعوين)، وهذا التقليد الأعمى من أبرز معوقات المرونة في العمل الدعوي؛ إذ أنه يعطل العقل، ويضيق عليه ويقيده، فلا يسمح له برؤية المناسب والمفيد.

٣- اتباع الهوى:

يعرف الهوى بشكل عام بأنه "ميل الطبع إلى ما يلائمه"(١٢٦)، واتباع الهوى من أبرز معوقات المرونة في العمل الدعوي؛ وما ذلك إلا لأن الهوى يصد صاحبه عن رؤية المناسب والمفيد في ميدان الدعوة، ويجعله يستبعد ما عند الآخر حتى وهو يعلم أنه صواب، ويمنعه من الاعتراف بالخطأ، ويبعده عن الإنصاف والموضوعية في الحكم.

وقد ذم الإسلام من اتبع الهوى دون عقل أو تفكير في غير موضع من آيات القرآن:

قال – تعالى -: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١٢٧)، وقال – تعالى -: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾(١٢٨)، وقال – تعالى -: ﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾(١٢٩).

٤- ضيق الأفق أو قصر النظر:

إن مفهوم ضيق الأفق أو قصر النظر في الاصطلاح الشرعي والدعوى هو " ضعف أو خلل في البصيرة يؤدى إلى حصر التفكير أو الرؤية في حدود ضيقة لا تتجاوز المكان و الزمان، أو بعبارة أخرى، هو ضعف أو خلل في البصيرة يؤدى إلى رؤية القريب وما تحت القدمين فقط، دون النظر إلى البعيد، ودون تقدير الآثار و العواقب "(١٣٠)، وبمعنى آخر " هو النظر إلى الأُمور بسطحية دون مقاصدها وأبعادها"(١٣١)، وضيق الأفق من أبرز معوقات المرونة في العمل الدعوي؛ إذ أنه يجعل صاحبه ينظر إلى الأمور بزاوية واحدة مما يجعله يصطدم بكثير من العقبات التي تواجهه، فتجده غير قادر على استيعابها أو الالتفاف حولها، يقول الدكتور / السيد نوح: " إن ضيّق الأفق أو قصير النظر، سيواجه في طريقه الكثير من العقبات والصعاب، ولن يستطيع – لضيق أُفُقه أو قصر نظره - استيعاب هذه العقبات، وتلك الصعاب، ومحاولة التغلب عليها "(١٣٢)، وبالتالي تكون النتيجة الجمود، والاعتراض على كل جديد، ومصادرة آراء الآخرين.

وإن الناظر في السيرة النبوية يرى كيف كان النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يحطم الأصنام التي حول الكعبة خلال ثلاث عشرة سنة من الدعوة، وما فعل ذلك

إلا يوم فتح مكة، وما ذلك إلا لسعة أُفقه – صلى الله عليه وسلم – وبعد نظره " لأنه كان يرى أن البدء بتحطيم هذه الأصنام قبل تحطيم الأصنام الموجودة بداخل النفوس، تلك التي توجه وتدعو إلى الشرك والإثم والرذيلة، سيساعد على إعادة بناء هذه الأصنام من الذهب، بدلا من الحجارة، بل سيضاعف من عددها، لذا تركها، وعمد إلى إصلاح النفوس من داخلها، تطبيقا لقوله – تعالى –: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (١٣٣)، حتى إذا صلحت هذه النفوس واستقامت على منهج الله وترابطت فيما بينها قادها – صلى الله عليه وسلم – وفتح بها مكة وحطم بها هذه الأصنام " (١٣٤).

٥- الانكفاء على الذات:

ويقصد بالانكفاء على الذات هنا " التمركز العقلي حول الذات أو عدم إعطاء وجهة النظر الأخرى أي اعتبار أو عدم وضع الإنسان نفسه مكان الطرف الآخر عند مناقشة أية قضية أو مسألة أو موضوع أو مشكلة من المشاكل أو عدم تفهم رأيه أو موقفه من تلك المشكلة أو الموضوع " (١٣٥). وهذا الانكفاء يخرج عقلية أحادية، عقلية البعد الواحد، وصاحب هذه العقلية من الصعب معايشته، وما ذلك إلا لأن الآخر لا يعني له أي شيء، وليس عنده الاستعداد لتقبل وجهة نظر الآخر أو تفهم الطرف الآخر، فلغة إقصاء الآخر عنده بارزة وواضحة، وبناء عليه لا يوجد عنده أدنى اهتمام بالبحث عن المناسب والمفيد في العمل الدعوي؛ مما يجعل الناس يتخذون منه موقف سلبياً، فينعزلون عنه، ولا يرغبون فيه (١٣٦).

كانت تلك أبرز معوقات المرونة في العمل الدعوي، والتي تحتاج إلى سبل مناسبة لمواجهتها، وبيان ذلك فيما يلي:

ثانيا: سبل مواجهة معوقات المرونة في العمل الدعوي:

١- الإقرار الذاتي بوجود مشكلة عدم المرونة:

إن أول خطوة في طريق العلاج هي اعتراف المريض بمرضه وحاجته للعلاج، وبعد ذلك يكون تشخيص الداء ووصف الدواء، والعامل في ميدان الدعوة إلى الله – تعالى – إذا لم يكن لديه القدر الكافي من المرونة في العمل الدعوي، فإنه بحاجة إلى الاعتراف والإقرار الذاتي بوجود مشكلة عدم المرونة حتى يبدأ تحليل المشكلة بدقة ووضع أنسب السبل لمواجهتها في ضوء دراسات علمية دعوية دقيقة؛ إذ في ظل عدم الاعتراف والإقرار يكون العناد، وبالتالي يبقى الحال على ما هو عليه.

٢- سعة المعرفة وتنوع الثقافة:

إن سعة المعرفة وتنوع الثقافة من أبرز سبل مواجهة معوقات المرونة في العمل الدعوي، والمقصود أن يكون العامل في ميدان الدعوة إلى الله ذا قدر كبير من المعرفة وتنوع شامل في ميدان الثقافة (١٣٧)، ويتحقق هذا بأمور كثيرة، منها:

أ- طلب العلم، والمقصود هنا بالعلم جميع العلوم المباحة بجميع أنواعها، وليس المقصود علوم الشريعة فقط، وإن كانت علوم الدين أشرف العلوم وأفضلها، وإن الإنسان المسلم إذا أخلص في طلب العلم، فإنه يرزق نور العقل مع نور البصيرة بإذن الله،كما أن العلم يضيف لصاحبه سعةً في الإدراك، وزيادة في الوعي، ودرجة في الفهم، وحسناً في التأتي، ولهذا كان طلب العلم من أهم طرق كسب المرونة.

ب- القراءة الكثيرة المتنوعة في كافة المجالات على وجه الاستمرار لا الانقطاع، وخاصة ما يتعلق بالعلوم الشرعية، والدراسات النفسية، والاجتماعية، والتاريخية... إلخ.

ولا يخفى أن أولى كلمات وحي السماء (اقرأ باسم ربك الذي خلق) [١٣٨]، فالقراءة مفتاح العلم والمعرفة، ولأن مجالات القراءة متعددة ومطلوب من المسلم أن ينهل بقدر طاقته، لا يدخر وسعا في ذلك، لم يُذْكَر المفعول به في الآية، ليفيد ذلك معنى العموم.

إن القراءة المستمرة في المجالات السابقة الذكر وغيرها، تكسب الإنسان سعة في الأفق وبعداً في النظر، فهو يرى كيف تجري سنة الله في البشر، وكيف يقلب الله الأيام بين الناس، ويعلم طبائع النفس الإنسانية، والطرق المثلى للتعامل معها.

بل إن القراءة في هذه المجالات لا تكسب الإنسان المرونة، بل تكسبه الكثير والكثير من المرونة.

ج- محاورة أهل العلم والخبرة في كل فن، فاستخراج ما عند أهل العلم والخبرة لا يكون إلا بلغة الحوار وحسن السؤال، فإنه بالحوار تفتح للإنسان أبواب من الخير لم يكن يتوقعها، وحسن السؤال مفتاح للعلم، يقول الزهري: " العلم خزائن ومفاتيحها السؤال " [١٣٩]. وإن لم يستطع الإنسان محاورة أهل العلم والخبرة مباشرة، فليستفد من تقنيات العصر، فيمكن للإنسان اليوم أن ينشيء حواراً مع من يشاء في أرجاء المعمورة وهو جالس في منزله عن طريق شبكة "الإنترنت" بكل يسر وسهولة.

٣- الاستفادة من تجارب الدعاة – المرتبطة بالمرونة – قديما وحديثا:

إن الاستفادة من تجارب الدعاة – المرتبطة بالمرونة – قديما وحديثا توفر الأعمار، وتختصر الأزمان، وتعطي مؤشرات ذات مصداقية عالية لأثر ونتائج تلك التجارب في ميدان العمل الدعوي، وتتيح للعامل في ميدان الدعوة البناء على أساس.

وخير التجارب الجديرة بالاطلاع عليها التجارب المذكورة في سير الأنبياء

عليهم السلام، وفي مقدمتهم سيرة المصطفي صلى الله عليه وسلم. ثم التجارب المذكورة في سير الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم أجمعين - ومن بعدهم من الدعاة والمصلحين إلى زماننا هذا، فإن حياتهم مليئة بأنواع من التجارب والخبرات في مجالات الدعوة المختلفة (١٤٠).

٤- نشر فقه المرونة في العمل الدعوي:

وأعني بذلك نشر الفهم الصحيح لجانب المرونة في العمل الدعوي، وإبراز الدراسات والأبحاث العلمية التي تعنى به، والاهتمام بتدريسه مفصلا في كافة الكليات والأقسام والمعاهد المعنية بتخريج الدعاة إلى ميدان الدعوة، وتكثيف الدورات التدريبية التي تعنى ببيان فقه المرونة في العمل الدعوي للدعاة على الله تعالى، وتركيز وسائل الإعلام الإسلامية على هذا الموضوع.

والمجال مفتوح لذكر مقترحات لمواجهة معوقات المرونة في العمل الدعوي.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الخاتمة

أولا: أهم نتائج البحث:

١- الدعاة إلى الله - تعالى - بحاجة إلى فقه المرونة في الدعوة بمعناها الأول، وهو (الدين)، وترجمة ذلك الفقه في خطابهم الدعوي في الميادين الدعوية المتنوعة؛ تيسيرا على الناس، وتأليفا لقلوبهم.

وكذلك يحتاج الدعاة إلى فقه المرونة في الدعوة بمعناها الثاني، وهو (النشر والتبليغ)؛ لتطبيق المرونة وترجمتها في العمل الدعوي ذاته؛ للوصول به إلى أرقى مراتب التأثير والإقناع.

٢- أن فقه المرونة في العمل الدعوي يرتكز على أسس علمية دعوية ذكرها المختصون في علم الدعوة، استنباطا من مصادر الدعوة، والتطبيقات الدعوية عبر العصور، واستنادا إلى العديد من الدراسات، والكثير من التجارب والخبرات، فلا مجال للعشوائية أو الفوضوية باسم المرونة.

٣- المرونة في العمل الدعوي لا تؤتي ثمارها المرجوة في ميدان الدعوة إلا إذا كانت منضبطة بمجموعة من الضوابط الشرعية.

٤- المرونة في العمل الدعوي لا تقف عند تطبيقات محددة وثابتة، بل تترجم في تطبيقات كثيرة ومتنوعة ومتجددة.

٥- المرونة المنضبطة في العمل الدعوي ذات آثار إيجابية في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.

٦- المرونة في العمل الدعوي تحتاج إلى العمل على التخلص من معوقات المرونة في العمل الدعوي لدى بعض الدعاة، مثل: التعصب للرؤية الشخصية، والتقليد الأعمى، واتباع الهوى، وضيق الأفق أو قصر النظر، والانكفاء على الذات... إلخ.

٧- المرونة في العمل الدعوي يمكن أن يكتسبها الدعاة إلى الله – تعالى – من خلال الإقرار الذاتي بوجود مشكلة عدم المرونة، وسعة المعرفة وتنوع الثقافة، والاستفادة من تجارب الدعاة قديما وحديثا، وتبادل الخبرات الدعوية، والحرص على التغيير لمواكبة التطوير مع عدم المساس بالثوابت الدينية والأهداف الدعوية، ونشر فقه المرونة في العمل الدعوي... إلخ.

ثانيا: التوصيات:

١- أوصي بالحرص على تطبيق المرونة في العمل الدعوي؛ لعظيم آثارها في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.

٢- أوصي المؤسسات الدعوية بمتابعة العمل الدعوي للدعاة في ضوء الدراسات العلمية الدعوية؛ للتقييم والتقويم، ووضع كل شيء في موضعه.

٣- أوصي بعقد دورات علمية تدريبية للدعاة إلى الله – تعالى – لبيان فقه المرونة في العمل الدعوي، وكيفية اكتسابها، والتخلص من معوقاتها.

٤- أوصي بعقد لقاءات تجمع عددا كبيرا من الدعاة مختلفي الجنسيات ومتنوعي البيئات ومتفاوتي الأعمار؛ لعرض تجاربهم وتطبيقاتهم للمرونة في العمل الدعوي، وبيان ما ترتب عليها من آثار في ميدان الدعوة إلى الله تعالى؛ لاستفادة كل داعية من خبرات الآخرين، وتطبيقاتهم الإيجابية للمرونة، وتفادي التطبيقات السلبية للمرونة في العمل الدعوي.

٥- أوصي المؤسسات الدعوية برصد عقبات المرونة في العمل الدعوي؛ لمواجهتها بما يتناسب معها.

٦- أوصي بعمل استطلاع رأي للمدعوين بين الحين والآخر؛ للوقوف على إيجابيات وسلبيات العمل الدعوي، ومدى تحقق جانب المرونة – بمعناها الصحيح – في أداء الدعاة.

٧- أوصي بعقد مؤتمر دعوي عالمي عن (المرونة وتطبيقاتها في العمل الدعوي)، مع تكثيف الإعلان عنه لكافة المؤسسات الدعوية، والعمل على تفعيل ما يسفر عنه المؤتمر من نتائج وتوصيات.

٨- أوصي بطباعة كتاب مفصِّل للمرونة في العمل الدعوي، وتعميمه على كل المؤسسات الدعوية؛ لتكون هناك نسخة بين يدي كل داعية؛ ليستفيد من هذا الكتاب وليحقق التوازن في عمله الدعوي: الثبات في موضع الثبات، والمرونة في موضع المرونة.

الهوامش والتعليقات:

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، صـ ٢٠٣،٢٠٤ بتصرف.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط / عبد السلام هارون، ٥/ ٣١٣.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، مادة (مرن)، ٣/ ٤٧٣.

(٤) الإنسان بين المرونة والصلابة، د/ جاسم الياسين، مجلة المنار، جدة، عدد ٦٥، صـ ١٥، ١٤٢٣هـ.

(٥) موسوعة علم النفس، أسعد رزوق، مراجعة / عبد الله عبد الدايم،صـ ٢٧٨.

(٦) مفهوم الأصالة والمعاصرة وتطبيقاته في التربية الإسلامية، حمدان عبد الله الصوفي، صـ١٤١.

(٧) راجع تفصيل التعريفات الاصطلاحية المذكورة في: المرونة، أنس سليم الأحمدي، صـ ٣، ٤.

(٨) سورة يوسف، من الآية رقم (٣٣).

(٩) راجع: مادة (دعا) في: لسان العرب ١/ ٩٨٧،٩٨٦؛ المعجم الوجيز، صـ ٢٢٨.

(١٠) سورة البقرة، من الآية رقم (٢٢١).

(١١) انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د / حمد بن ناصر العمار، صـ ٢٠، ٢١ بتصرف ـ

(١٢) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها، د / رؤوف شلبي صـ ٢٥.

(١٣) المدخل إلى علم الدعوة، د / محمد أبو الفتح البيانوني، صـ ١٩.

(١٤) المدخل إلى علم الدعوة، د / محمد أبو الفتح البيانوني، صـ ٤٠.

(١٥) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د / أحمد أحمد غلوش، صـ ١٠.

(١٦) الدعوة والإنسان، د / عبد الله الشاذلي، صـ ٣٩.

(١٧) سورة يونس، من الآية رقم (١٥).

(١٨) سورة الأنعام، الآية رقم (١٠٦).

(١٩) سورة طه، الآيات رقم (٤٣-٤٦).

(٢٠) صفوة التفاسير، ٢/ ٢١٦.

(٢١) سورة آل عمران، من الآية رقم (٦٤).

(٢٢) أخرجه الإمام / أحمد في مسنده برقم (١٨٨٣٠)، (٣١ / ١٢٦)، وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٢٣) معالم السنن، للإمام / أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، ٤/ ٣٥٠.

(٢٤) سورة التوبة، من الآية رقم (٤٠).

(٢٥) سورة الأنعام، الآية رقم (١٥٣).

(٢٦) سورة إبراهيم، الآية رقم (١).

(٢٧) سورة الأنعام، من الآية رقم (٣٤).

(٢٨) سورة الأنعام، من الآية رقم (١١٥).

(٢٩) سورة يونس، من الآية رقم (٦٤).

(٣٠) سورة الكهف، من الآية رقم (٢٧).

(٣١) سورة ق، الآية رقم (٢٩).

(٣٢) سورة النحل، الآيات رقم (١٠٦ – ١١٠).

(٣٣) سورة الأحزاب، الآية رقم (٢٣).

(٣٤) البداية والنهاية،٢/ ٥٨.

(٣٥) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ١/ ١٧٥ بتصرف.

(٣٦) سورة الكافرون بتمامها.

(٣٧) أسباب النزول، للإمام الشيخ / أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، صـ٤٠٠.

(٣٨) سورة لقمان، الآيتان رقم (١٤، ١٥).

(٣٩) سورة الأحزاب، الآيتان رقم (١٠، ١١).

(٤٠) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ١٦٣ بتصرف.

(٤١) انظر: فقه السيرة، د/ البوطي صـ ٢٣٣ بتصرف.

(٤٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن كعب بن مالك الأنصاري في كتاب (المرضى) باب (ما جاء في كفارة المرض)حديث رقم (٥٦٤٣) (الفتح ١٠/ ١٢٧).

(٤٣) سورة لقمان، من الآية رقم (١٢).

(٤٤) المعجم الوجيز، صـ ١٦٥.

(٤٥) سورة الحجر، الآية رقم (٦٥).

(٤٦) سورة القصص، الآيتان رقم (٢٠، ٢١).

(٤٧) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي وائل، في كتاب (الجهاد والسير) باب (صلح الحديبية) حديث رقم (١٧٨٥) (بشرح النووي ١٢/ ١٤١).

(٤٨) انظر: فقه السيرة، د/ محمد سعيد رمضان البوطي، صـ ٦٦ بتصرف.

(٤٩) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (بدء الوحي) باب (٣) حديث رقم (٣) (الفتح ١/ ٢٨، ٢٩).

(٥٠) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ١/ ٣٠.

(٥١) فقه السنة، السيد سابق، ١/ ٣٣٢.

(٥٢) فقه السيرة، فضيلة الشيخ / محمد الغزالي، صـ ٩٠.

(٥٣) انظر: فقه السيرة، د / البوطي، صـ ٦٤ – ٦٦ بتصرف.

(٥٤) سورة المدثر، الآية رقم (٢).

(٥٥) سورة الشعراء، الآية رقم (٢١٤).

(٥٦) سورة الحجر، الآية رقم (٩٤).

(٥٧) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في كتاب (التفسير) باب (سورة ١١١ "تبت يدا أبي لهب وتب") حديث رقم (٤٩٧١) (الفتح ٨/ ٩٥٦).

(٥٨) سورة المؤمنون، الآية رقم (٤٤).

(٥٩) سورة الأنعام، من الآية رقم (٣٤).

(٦٠) سورة القمر، الآيات رقم (٩ – ١٥).

(٦١) سورة هود، الآية رقم (٤٤).

(٦٢) سورة العنكبوت، من الآية رقم (٢٦).

(٦٣) انظر: تفسير الفخر الرازي، ٢٥/ ٥٦ بتصرف.

(٦٤) سورة الصافات، الآية رقم (٩٩).

(٦٥) تفسير الفخر الرازي، ٢٦/ ١٥١.

(٦٦) سورة النمل، الآيات رقم (٥٤ – ٥٦).

(٦٧) سورة هود، الآيات رقم (٨١ – ٨٣).

(٦٨) سورة العنكبوت، الآية رقم (٢٦).

(٦٩) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٢١٤٩.

(٧٠) سورة الأعراف، الآيتان رقم (٨٨، ٨٩).

(٧١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للإمام / القرطبي، ٩/ ٢٨٥،٢٨٤ بتصرف.

(٧٢) سورة الشعراء، الآية رقم (٥٢).

(٧٣) سورة الأنبياء، الآية رقم (٨٧).

(٧٤) سورة النساء، الآية رقم (١٥٧).

(٧٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ٧٨٦.

(٧٦) سورة الأنفال، الآية رقم (٣٠).

(٧٧) سورة التوبة، الآية رقم (٤٠).

(٧٨) سورة محمد، الآية رقم (١٣).

(٧٩) سورة الحج، من الآية رقم (٤٠).

(٨٠) سورة الممتحنة، من الآية رقم (١).

(٨١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة – رضي الله عنها – في كتاب (بدء الوحي) باب (٣) حديث رقم (٣) (الفتح ١/ ٢٩).

(٨٢) أخرجه الترمذي في سننه عن عبد الله بن عدي في كتاب (المناقب) باب (في فضل مكة) حديث رقم(٣٩٢٥) (٥/ ٦٧٩) وقال: حديث حسن غريب صحيح.

(٨٣) سورة الأحزاب، الآية رقم (٦٢).

(٨٤) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ / محمد الخضري، صـ ٧٨.

(٨٥) سورة النساء، من الآية رقم (٧٥).

(٨٦) انظر: فقه السيرة، د/ البوطي، صـ ١٠١ بتصرف.

(٨٧) سورة النساء، الآيات رقم (٩٧–١٠٠).

(٨٨) أخرجه البخاري في صحيحة في كتاب (العلم) باب (من جعل لأهل العلم أياماً معلومة) حديث رقم (٧٠) (الفتح ١/ ٢١٦، ٢١٧).

(٨٩) انظر: فقه السيرة، د/ البوطي، صـ ٢٤٨، ٢٤٩ بتصرف.

(٩٠) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٢٤٠ بتصرف.

(٩١) سورة الفتح، الآية رقم (٢٧).

(٩٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ٢٦٣٥ بتصرف.

(٩٣) انظر: في ظلال القرآن للشيخ/ سيد قطب، ١/ ٢٩١ بتصرف.

(٩٤) عقيدة المسلم، الشيخ / محمد الغزالي صـ ٦.

(٩٥) سورة النحل، من الآية رقم (١٢٥).

(٩٦) للدكتور / فضل إلهي كتاب بعنوان (مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين) فليرجع إليه من أراد الوقوف تفصيلا على هذا الموضوع.

(٩٧) أخرجه الإمام / أحمد في المسند برقم (٢٢١١٢) (١٦/ ٢٣٧) وقال المحقق أ / حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٩٨) فقه السيرة، د/ البوطي، صـ ٢٤٧، ٢٤٨.

(٩٩) هداية المرشدين، صـ ١٠٢.

(١٠٠) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الإيمان) باب (الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام) حديث رقم (١٩) (بشرح النووي ١/ ١٩٩، ٢٠٠).

(١٠١) انظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، صـ ١٢٥ بتصرف.

(١٠٢) سورة الأحقاف، الآيات رقم (٢٩ – ٣١).

(١٠٣) سورة الجن، الآيتان رقم (١، ٢).

(١٠٤) راجع: السيرة النبوية لابن هشام، ١/ ٢٦٤ – ٢٦٦.

(١٠٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (مناقب الأنصار) باب (وفود الأنصار إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة وبيعة العقبة) حديث رقم (٣٨٩٢) (الفتح ٧/ ٢٧٨).

(١٠٦) راجع: فتح الباري ٧/ ٢٧٨ – ٢٨٢؛ السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٧٢ – ٢٧٦؛ الرحيق المختوم صـ ١٣٩ – ١٤١.

(١٠٧) أخرجه الإمام / أحمد في المسند برقم (١٤٣٩٣) (١١/ ٤٥٣، ٤٥٤) وقال المحقق أ/ حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(١٠٨) راجع: البداية والنهاية لابن كثير، ٢صـ١٨٦ وما بعدها للوقوف على الوفود تفصيلاً.

(١٠٩) للوقوف على هذه المكاتبات راجع: الرحيق المختوم، صـ ٣٠٤ – ٣١٣.

(١١٠) للوقوف على الوفود تفصيلاً راجع: السيرة النبوية لابن هشام،٢/ ٤١٤ وما بعدها.

(١١١) سورة الأعراف، من الآية رقم (١٥٨).

(١١٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله في كتاب (الصلاة) باب (قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا") حديث رقم (٤٣٨)(الفتح

١/ ٧٠١).

(١١٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك، ٩/ ٣٠٦،٣٠٥.

(١١٤) فتح الباري،١٠/ ٥٤٥.

(١١٥) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، صـ ٦٤٥.

(١١٦) المداراة التربوية، أحمد محمد العليمي، صـ ١٤.

(١١٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (الأدب) باب (مداراة الناس) حديث رقم (٦١٣١).

صحيح البخاري، للإمام / أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صـ ١٥٣٣،١٥٣٢.

(١١٨) التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، صـ ٩٠.

(١١٩) الروح، لابن القيم الجوزية، صـ ٢٠٨.

(١٢٠) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٩/ ٣٠٦.

(١٢١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، ٦/ ٥٧٣.

(١٢٢) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، محمد العبده، د/ طارق عبد الحكيم، صـ٧٩.

(١٢٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية،٢٠/ ١٥.

(١٢٤) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، ١/ ٦٦.

(١٢٥) سورة البقرة، من الآية رقم (١٧٠).

(١٢٦) ذم الهوى، ابن الجوزي، صـ١٢.

(١٢٧) سورة القصص، الآية رقم (٥٠).

(١٢٨) سورة الفرقان، الآية رقم (٤٣).

(١٢٩) سورة الروم، الآية رقم (٢٩).

(١٣٠) آفات على الطريق، د / السيد نوح، صـ٦١.

(١٣١) المرونة، أنس سليم الأحمدي، صـ٤٢.

(١٣٢) انظر: آفات على الطريق، د / السيد نوح، صـ٦٤ بتصرف.

(١٣٣) سورة الرعد، من الآية رقم (١١).

(١٣٤) آفات على الطريق، د / السيد نوح، صـ٦٤.

(١٣٥) الانكفاء على الذات: طبيعته، مظاهره، علاجه، سعيد بن علي بن مانع، صـ١٣.

(١٣٦) انظر: المرونة، أنس سليم الأحمدي، صـ٣٩-٤٦ بتصرف.

(١٣٧) لمزيد من البيان عن الثقافة التي يحتاجها الداعية راجع: ثقافة الداعية، د / يوسف القرضاوي.

(١٣٨) سورة العلق، الآية رقم (١).

(١٣٩) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، لابن عبد البر، صـ ١٤٥.

(١٤٠) انظر: المرونة، أنس سليم الأحمدي، صـ٤٧-٥١بتصرف.

فهرس المراجع

ملحوظة: المراجع مرتبة ترتيباً هجائياً بعد (ال).

- آفات على الطريق، د / السيد نوح، دار الوفاء، المنصورة، ط الأولى ١٤٠٧ هـ (نسخة إلكترونية).
- أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د/ حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، دار إشبيليا، الرياض، ط الثالثة ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.
- أسباب النزول، للإمام الشيخ/ أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨ هـ) دراسة وتحقيق د/ السيد الجميلي، دار الريان للتراث.
- الانكفاء على الذات: طبيعته، مظاهره، علاجه، سعيد بن علي بن مانع، (بدون)، ط الأولى١٤١٠هـ.
- البداية والنهاية، لشيخ الإسلام الإمام الحافظ المفسر المؤرخ / عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) دار الغد العربي، القاهرة، ط الأولى ١٤١١هـ -١٩٩٠م.
- التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام / محمد الرازي فخر الدين (٥٤٤-٦٠٤هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
- تفسير القرآن العظيم، للإمام الجليل الحافظ / عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، دار السلام، الرياض، ط السادسة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر، دمشق، ١٤١٠هـ.
- ثقافة الداعية، د / يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة.
- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، أبو عمر يوسف ابن عبد البر القرطبي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ١٤٠٢هـ.

- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) لأبي عيسى بن سورة (٢٠٩- ٢٩٧ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- الجامع لأحكام القرآن، للإمام / أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٧هـ.
- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د/ أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب اللبناني،بيروت، ١٩٨٧م.
- الدعوة الإسلامية في عهدها المكي منهاجها وغاياتها،د/ رؤوف شلبي، مطبعة الفجر الجديد، القاهرة.
- الدعوة والإنسان د/ عبد الله الشاذلي، المكتبة القومية الحديثة، طنطا.
- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباكفوري، دار الحديث، القاهرة،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣ م.
- ذم الهوى، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دار الكتب الحدثية، القاهرة، ١٣٨١هـ.
- الروح، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، دار القلم، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق د/ أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة.
- شرح صحيح البخاري، لابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك، ضبط وتعليق / ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠ هـ.
- صحيح البخاري، للإمام / أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق، ط الأولى ١٤٢٣هـ.
- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت.
- عقيدة المسلم، للشيخ / محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط الرابعة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) حقق أصلها / عبد العزيز بن باز، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها / محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ-١٩٨٩ م.
- فقه السنة، الشيخ / السيد سابق، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة.
- فقه السيرة، د/ محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، ط السابعة، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
- فقه السيرة، فضيلة الشيخ / محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة،ط الثامنة ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
- الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط الثانية عشرة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري (٦٣٠ ٧١١هـ)، دار لسان العرب، بيروت.
- مجلة المنار، جدة، العدد ٦٥، ١٤٢٣ هـ.
- المداراة التربوية، أحمد محمد العليمي، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢١هـ.
- المدخل إلى علم الدعوة، د/ محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
- مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، د / فضل إلهي.
- المسند، للإمام / أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) شرحه ووضع فهارسه أ/ أحمد محمد شاكر (جـ١-٨) أ / حمزة أحمد الزين (جـ ٩-١٨) دار الحديث،القاهرة، ط الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
- المرونة، أنس سليم الأحمدي، مؤسسة الأمة، الرياض (نسخة إلكترونية).
- معالم السنن، للإمام / أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت ٣٨٨هـ)، وهو شرح سنن الإمام / أبي داود (ت ٢٧٥هـ) المكتبة العلمية، بيروت، ط الأولى ١٣٥٢هـ – ١٩٣٣م.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط / عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية،القاهرة، طبعة وزارة التربية والتعليم، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٧هـ.
- مفهوم الأصالة والمعاصرة وتطبيقاته في التربية الإسلامية، حمدان عبد الله الصوفي، رسالة دكتوراه غير منشورة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤١٦هـ.
- مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، محمد العبده، د/ طارق عبد الحكيم، دار القلم، الكويت، ١٤٠٦ هـ.
- موسوعة علم النفس، أسعد رزوق، مراجعة / عبد الله عبد الدايم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، للشيخ / محمد الخضري، تحقيق وتعليق / سمير أحمد العطار، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م.